

المغفور له الدكتور فارس نمر باشا

١٨٥٥ — ١٩٥١

المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو جسري

January 1952 | (الجزء ١ — المجلد ١٢٠) | يناير سنة ١٩٥٢

نجم هوى

الدكتور فارس نمر باشا

منشىء المقتطف والمقطم

وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وعضو المجمع المصري للثقافة العلمية والعضو السابق في مجلس الشيوخ

يعز كثيراً على رئيس تحرير المقتطف أن يستهل العدد الأول من السنة الجديدة (١٩٥٢) بأن ينعى الى العالم العربي وإلى قراء المقتطف في أنحاء العالم — والأسى يملأ جوانحه حزناً وألماً — فقيدنا العظيم العلامة الجليل المغفور له الدكتور فارس نمر باشا، فقد وافاه الأجل في الساعة الرابعة من صباح الاثنين السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ بمنزله بالمعادي من ضواحي القاهرة ثم نقل جثمانه الكريم في اليوم التالي إلى الكنيسة الأنجيلية الكبرى بقصر الدوبارة حيث أبّنه وصلى عليه جناب القس ابرهيم سعيد وشيعت جنازته باحتفال كبير مهيب مشى فيه جمهور كبير جداً من العلماء والعظماء وصفوة الأصدقاء والأحباء إلى مقره الأخير — حيث أبّنه الزميل الأستاذ ابراهيم عطايا — مذكوراً بفضله واحسانه وما خلف من الآثار العلمية والأدبية مما يخلد ذكره مدى الأدهار .

يعز علينا أن نودع زعيماً من زعماء الفكر في الشرق وعلماً من أعلام الخطابة والبيان، وطوداً راسخاً من أطواد العلم في الشرق العربي، وباعثاً من باعثي النهضة الفكرية الحديثة، وهو عميدنا ووالدنا الذي عرفنا سجاياه الحميدة وشمائله الغر المغفور له الدكتور فارس

نمر باشا . فقد كان طيّب الله ثراه محوراً لكثير من النشاط العلمي والأدبي والسياسي في الشرق العربي ، قرابة قرن من الزمان امتد فيه عمره وكان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يفكر في المسائل العامة التي تحرك الشرق عركا ، وإن فقده ليعد خسارة كبيرة نزلت بالشرق وان أسرتي العلم والأدب لفي نواح اليوم حزناً على ابن بار من أبنائها وشيخ مجاهد من كرام شيوخها وعلم خفّاق من أعلامها .

ترجمة حياة فقيد العلم والصحافة

وفقيدنا الكبير هو فارس بن نمر بن فارس أبي ناصة . ولد في بلدة « حاصبيا » من أعمال ولاية سوريا في السادس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٥٦ . وبعد خمس سنين من ولادته وقعت المذابح الهائلة في سوريا وهي المعروفة بسنة ستين — وكانت « حاصبيا » احدى الضواحي التي عممتها تلك المصائب فقتل أبوه وقتئذ — فحملته أمه مع أخيه « نقولا » وأخته « مريم » الى بيروت واتخذتها سكناً لها .

ولما بلغ منتصف السادسة ألحقته والدته بالمدرسة الانجليزية فتعلم العلوم اللازمة لمن كان في سنه . وأقيمت في المدرسة حفلتها السنوية الكبرى — ورفع الصبي « فارس » إلى المنبر فقاه بخطبة دهش لها السامعون وتنبأ بعضهم بانه سيكون خطيب الشرق المطبوع ، فكان له ما تنبأوا به حقّا .

وفي أواخر سنة ١٨٦٣ انتقلت به والدته إلى القدس الشريف وألحقته بمدرسة شنلّر الألمانية فصرف فيها نحو خمس سنوات . تعلم في خلالها الانجليزية والألمانية والتاريخ والجغرافيا .

ثم عادت به إلى بيروت في أواخر سنة ١٨٦٨ فألحقته بمدرسة « عبية » في لبنان ولكنه لم يقم فيها إلا أربعة أشهر عاد بعدها الى مسقط رأسه « حاصبيا » حيث مرض مرضاً ثقيلاً بالحمى .

وبعد سنة عاد الى بيروت وكانت أمه قد سبقته إليها واستخدم مدة قصيرة في محل تجاري . ولكن طموحه الى العلم والمعارف لم يطاوعه على الاستمرار في هذا العمل فتركه ، وفي خريف سنه ١٨٧٠ دخل الكلية السورية « جامعة بيروت الأميركية » وجعل همه إلتقاط درر الفوائد واكتساب العلوم السامية . فسهر وجدّ واجتهد ، وكانت شخصية

التلميذ فارس نمر بارزة في المدرسة لا يجهلها تلميذ ولا معلم وهاك صورتها : —

« شاب قوي البنية ، صبوح الوجه جميله ، ترى الذكاء يتدفق من عينيه ، وادلال الشباب وقوة الحياة من عطفيه . وإذا صعد المنبر فقد صعد عليه شيشرونه ».

وكان التلميذ فارس نمر خطيب الكلية وكاتبها ومترجمها من الانكليزية الى العربية وبالعكس ، وكانت معارفه بالفرنساوية لا تنقص عن معارف أكثر الذين درسوا تلك اللغة في المدارس الخاصة بها كمدرسة عينطورة ومدرسة غزير وما الى هاتين المدرستين من مدارس الارساليات الكاثوليكية .

لم يخف عن الأستاذ إلياس حبالين المدرس في الكلية ما كان في تلميذه فارس نمر من قوة الخطابة وطلاقة اللسان فكان أول ما يلتفت الى المجتمعين للخطابة في القاعة الكبرى يوم السبت تلحظ في لفتاته انه يفتش الصفوف عن شخص مخصوص حتى إذا وقعت عيناه على الخطيب الكبير التلميذ فارس نمر استقرتا هناك وعلامات الرضى والاكتفاء ظاهرة عليهما فاذا لم يجده سأل عنه قائلاً أين نمرنا أو أين الخطيب ، وبالاجمال كان المرحوم إلياس حبالين لتلميذه المحبوب لديه فارس نمر ، ما كان أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس .

وفي أكتوبر سنة ١٨٧٣ انتقلت المدرسة الى ابنيتها الخاصة في رأس بيروت حيث بلغ فقيدنا الكريم صف المنتهين فأسس مع جماعة من رفاقه « جمعية شمس البر » الشهيرة فلمع نجمه وتجلت مواهبه فألقى فيها الخطب الرنانة والبحوث العلمية الجليلة . ولم تحل كثرة دروسه وانكبابه عليها دون جده في خدمة الجمعية ، بل كان وهو يرشف من منهل العلم في الكلية — يدرس في مدرسة البنات البروسية العالية .

ولفرط عنايته بوقته وحرصه عليه قسّم ساعات يومه فجعل يقضي ثلث اليوم في الراحة والنوم وخص ساعات معدودة يتناول فيها الطعام والرياضة البدنية وقضاء حاجاته الخصوصية — وما بقي من الوقت كان يقضيه في الاستعداد لواجباته التعليمية والدرس والتحصيل لزيادة معارفه العلمية بحيث لا يستغرق ذلك أقل من ١٢ ساعة يومياً فترجم بعض الكتب الدينية والعلمية والتاريخية التي طبعت في جريدة « النشرة الأسبوعية »

وقبل أن يبلغ العشرين من عمره أي فى خريف ١٨٧٤ نال شهادة ب . ع . « البكالوريوس في العلوم » وكان على رأس الناجحين فيها ، ولما كان التلميذ فارس نمر حبيباً إلى نفس أستاذه العلامة الكبير الدكتور كرنيليوس فانديك الذي يعد من أعظم أركان النهضة

العلمية والأدبية في سوريا ، فقد اختاره ليكون معاوناً له في المرصد الفلكي في بيروت ومعلماً لعلوم الطبيعة والفلك والجبر في المدرسة الكلية الاميركية — جامعة بيروت الآن — وكانت هذه العلوم تدرّس باللغة الانكليزية ، غير أنه أخذ يدرّسها لتلاميذه باللغة العربية وأخذ على عاتقه ترجمة المصطلحات العلمية ومهمة الترجمة والتعريب وسرعان ما جرت على الألسنة الناطقة وصارت مألوفة لا نزال نتداولها الى اليوم . وكان يعلم أيضاً اللغة الانكليزية في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك . وفي عام ١٨٧٥ ترجم كتاب « الظواهر الجوية » للاستاذ لويس الاميركي وقد طبع في مطبعة الأميركان في بيروت وراج رواجاً عظيماً .

﴿كيف أنشيء المقتطف﴾ وفي الكلية عرف فارس نمر صديقه وأخاه الروحي يعقوب صروف وكان مثله شاباً يكبره بسنتين دؤوباً محبّاً للعلم بحراً في المعارف والآداب ، فكانا يقضيان معظم وقتهما في مطالعة ما يصل الى الكلية من الجرائد والمجلات العلمية الأجنبية على اختلاف أنواعها واشتدت رغبتهما في مطالعة هذه المجلات بعد ما ذاقا لذة ما فيها من كل بحث طريف واكتشاف جديد فكان تأثير ذلك فيهما ان ولّد فيهما الرغبة في اذاعة ما تعيه صدورهما واشتد شوقهما الى الانتظام في سلك الكتاب والمؤلفين من قومهما وكانا يأسفان لأن لغتهما العربية خالية من جريدة تبسط فيها العلوم والفنون بسطاً يقرّبها من افهام القراء ، وتنشر فيها خلاصة المكتشفات الجديدة والتحقيقات المفيدة شهراً بعد شهر .

وكان يعقوب صروف يدرّس الفلسفة الطبيعية والرياضيات وفارس نمر يدرّس علم الهيئة واللغة اللاتينية ، وكانت مكتبة الجامعة الواسعة تضم شتى الكتب التي تبحث في العلم والفلسفة ، وكان اساتذة الجامعة في كل فن ومطلب ولا سيما الدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست على مقربة منهما يستمدان من علمهم ويسترشدان باختبارهم فيما يتعلق بالدروس التي تخصصوا لالقائها من علمية وفلسفية وطبية ولذلك وجدا نفسيهما في مركز قل نظيره وفي أحوال ملائمة نادرة المثال لخدمة الشرق على العموم وأبناء العربية على الخصوص باذاعة العلوم والمعارف بينهم ، ورأيا أن خير وسيلة لذلك هي انشاء مجلة شهرية باللغة العربية تنير الاذهان ببحوثها ولا سيما ما كان عمليّاً منها في عبارة صحيحة لا تعلو حتى يصعب على العامة فهمها ، ولا تسفل حتى تنكرها الخاصة ، وتنقل إلى المتعلمين منهم مآثر الشرق وتاريخه وما جدّ في العالم

الغربي من الاكتشافات والاختراعات والبحوث العلمية والفلسفية ، وان تذيع مفاخر الشرق وآثاره بين الغربيين شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام .

وترددا مدة في بادىء الأمر في اخراج هذه الفكرة الى عالم الوجود ، وذلك لأن الحكومة العثمانية في ذلك الوقت لم تكن ترخص بصدور جريدة في بلادها إلا بعق النفس والتوسل بأقوى الوسائط ، ثم تدبرا في الأمر ملياً ورسما الخطة وقصدا المرصد الفلكي لمقابلة أستاذهما الدكتور كرنيليوس فانديك ومكاشفته بما عزما عليه وسألاه أن يختار لهما اسماً ، فأبرقت أسرّته وجعل يهدد عزائمهما ويسهل لهما الصعاب وقال سمياه « المقتطف » واجعلاه كاسمه وحسبكما ذلك . ثم كتب إلى الأستاذ خليل الخوري مدير المطبوعات في سورية يطلب منه ان يسعى لهما في استصدار الرخصة السلطانية بأسرع ما يمكن ، سل ولم يمض شهران حتى أتتهما الرخصة فذهبا وبشرا أستاذهما بها فقال لهما « سيرا في عملكما والله معكما » وأنا سأشرع في هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف .

﴿ إنشاء المقتطف ﴾ ظهر المقتطف الى عالم الوجود في مدينة بيروت في أول مايو سنة ١٨٧٦ في بدء النهضة العلمية والفكرية في الديار السورية بعد أن كرّت الأعوام الطوال وأنوار العلم الحديث محجوبة عنها ، وأبواب البحث والتنقيب موصدة دونها . فلم تكن ثمت نهضة أدبية بل كان هنالك تقهقر أدبي ، لأن عدداً عديداً من الكتب التي أنتجتها جهود السالفين ترجمة وتأليفاً عبثت بها أيدي الجهل وعدم توفر وسائل الطبع فاما أتلفت أو نقلت الى خزائن الغرب وقد قدّر بعض العارفين عدد مؤلفات السلف بعشرات الألوف ، أما ما فقدمنها فيقال إنه اضعاف ، ذلك وهكذا خسرت اللغة الشيء الكثير من كنوزها القديمة .

كان المقتطف حين ولادته صغير الحجم نحيل الجسم حتى خيف ألا يعيش لا سيما وان العلل التي كانت تنتاب المواليد نظيره في سوريا في ذلك العهد كانت كثيرة ووسائل العلاج قليلة ، ولذا لم يصدر الجزء الثاني منه إلا في أول يوليو وكان فيه مقال الدكتور فانديك في أطباء اليونان والشرق ومقالة الدكتور أمين أبي خاطر في صحة الأطفال عدا المقالات التي كتباها .

وكان أهم رأس مال له همة صاحبيه العاملين يعقوب صروف وفارس نمر اللذين سارا به بأربع وعشرين صفحة شهرياً ملآها بكل ما أوتياه من علم ومعرفة ، وعلى الأخص من

جدٍ في العمل واخلاص في الخدمة . وفي أول السنة الثانية فاطا ادارة أشغاله وطبعه بالمرحوم شاهين مكاريوس بك . وبعد ذلك دأبا يسعيان في اتقانه وتحسينه عاماً بعد عام على رغم المشقات التي اعترضت سبيلهما وما اقتضاه نشره من التضحية المادية والأدبية خدمة للبلاد الشرقية والمعارف حتى بلغ الجزء الواحد منه في سنته السادسة أربعاً وستين صفحة .

وكانت البلاد السورية في ذلك العهد في حالة اضطراب سياسي ، والسلطان عبد الحميد الثاني الذي لم يكن يهمه من كل أمور السلطنة إلاّ صيانة حياته، خشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتّابها، فأصدر أمراً بتقييد حريتها وضيّق عليها المراقبة حتى صارت جسماً بلا روح . فما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان عبد الحميد من ألفاظ التفخيم والتعظيم والتمجيد في مدح عدالته الموهومة التي كانت تجر الخراب على المملكة . وكانت الشبهات تحوم حول كل صاحب جريدة أو مجلة ، وكل عضو في جمعية علمية أو أدبية ظناً من الحكومة أن وراء الثوب العلمي أو الأدبي غاية سياسية يقصد منها اثارة فتنة في البلاد والانتقاض على نظام الحكم.

﴿ المجمع العلمي الشرقي ﴾ وفي عام ١٨٨٢ انشأ فارس نمر مع فريق من علماء سورية وأدبائها « المجمع العلمي الشرقي » في بيروت وقد افتتحه في ٨ مارس سنة ١٨٨٢ بخطاب نفيس في « علم الهيئة القديم والحديث »[١] وألقى يعقوب صروف نبذتين الواحدة في قناطر زبيدة والثانية في حركة البرد [٢] — وجعلا المقتطف لسان حال المجمع لنشر محاضرات اعضائه ومقالاتهم فيه

وفي عام ١٨٨٣ عين مديراً للرصد الفلكي والمتيورولوجي بدلا من الدكتور كرنليوس فانديك الذي استعفى لكبر سنه . وبقي عاملاً على الرصد فيه الى حين ترك المدرسة الكلية في أواخر سنة ١٨٨٤ .

﴿ قدومه الى الديار المصرية ﴾ ظل يباشر عمله بهمة لا يتطرق اليها الوهن وقد صدر من المقتطف في بيروت تحت سماء سورية الثمانية المجلدات الأولى، ولما بلغ منتصف السنة التاسعة من عمره وقعت في البلاد حوادث لا محل لذكرها هنا ، واشتدت المراقبة على المطبوعات ، ولم يلبثا أن رأيا أن مجال العمل ضيق يومذاك في محيطهما ، ويد الدولة

(١) راجع مقتطف ابريل ومايو ١٨٨٢ (٢) راجع مقتطف ابريل ١٨٨٢

العثمانية شديدة على رؤوس المفكرين ورجال الأدب فعقدا النية على مغادرة بيروت والمياذ بمصر .

ومصر منذ القدم، منذ عهد يوسف بن يعقوب ، ويوسف خطيب مريم معقل الأحرار وملجأ المضطهدين. رحبت بالمقتطف ولم تكتف بذلك بل تبنته فشب فيها طليقاً حراً .

إن عاصمة الديار المصرية قد أصبحت عاصمة البلاد الشرقية ، وأصبح شعبها في مقدمة بني الشرق في كل أبواب الرقي . والبلاد الشرقية منبع التمدن وأم العمران ، ومصر من أعرق البلدان الشرقية في المدنية إن لم تكن أعرقها .

أصدر يعقوب صروف وفارس نمر العدد السادس من المجلد التاسع في مصر وجعلا فاتحة كل سنة في بدء السنة الميلادية وتابعا المسير بهمة لا تعرف الملل ، يزيد في نشاطهما ما لاقياه من الترحيب والحفاوة من الوزيرين الخطيرين شريف باشا ورياض باشا [1] ومن ادبائها ومفكريها ، ثم تدرجا بالمقتطف في معارج الرقي شيئاً فشيئاً غير آبهين بما يعترض كل صحفي وأديب في مثل هذه الخدمات ، وهوذا المقتطف الى وقتنا هذا راتع في نعيم الوادي ، يدعو لمليكه وحكومته بالعز والتأييد .

*

ودّع المقتطف قبل رحيله الى الديار المصرية علماء بيروت وأدباؤها ، ورحّب به عظماء مصر وفضلاؤها .

وقد أرسل الدكتور كرنيليوس فانديك الى صاحبي المقتطف رسالة يقول فيها : —

« على اننا ندعو بالخير والتوفيق للبلاد التي أنزلت المقتطف ديارها على الرحب والسعة، ونثني الثناء الجميل على الأماجد الأفاضل الذين فتحوا لكم الصدور واحلوكم محل الكرامة . . . متيقنين أنكم تزيدون نفعاً تحت ظلهم وتزداد جريدتكم المفيدة فوائد بحسن معاضدتهم » .

﴿ انشاء جمعية الاعتدال ﴾ ولم تمض سنتان على وجود صاحب الترجمة في القاهرة حتى أنشأ فيها بمساعدة بعض أصدقائه من العلماء « جمعية الاعتدال » وذلك في سنة ١٨٨٧ . وفي ١٨ يوليو سنة ١٨٨٨ تم عقد قرانه في الاسكندرية. وفي سنة ١٨٨٩ أنتخب

(١) انظر مقتطف الجزء السادس من السنة التاسعة (مارس ١٨٨٥)

عضواً لمجمع بريطانيا الفلسفي ، كما أنشأ مع زميليه الدكتور يعقوب صروف وشاهين بك مكاريوس جريدة المقطم التي نالت الشهرة العظيمة في الشرق والغرب ، رجاء أن يكون دخل الجريدة عوناً لهم على الاستمرار في اصدار المقتطف والصرف عليه .

فاستقل الدكتور يعقوب صروف بشؤون البحوث العلمية في المقتطف واستقل الدكتور فارس نمر بشؤون المباحث السياسية في المقطم فنالت الجريدة مركزاً عالياً بين الصحف السياسية عموماً والعربية خصوصاً بقوة برهانه وغزارة مادته وحرية مبادئه . وبدأ الدكتور نمر معركة جديدة في حياته لأن صراعه مع السلطان عبد الحميد الثاني بدأ من جديد وصار سافراً غير محجب وقد سعى كثيراً في ترقية أحوال الشعب العثماني وتنبيه أفكاره الى المطالبة بالحرية وكسر قيود استبداد الحكام الظالمين وصار السلطان لا يخاف شيئاً كما يخاف المقطم ، وكم بعث السلطان رسلاً الى الدكتور فارس نمر يغرونه بالمال وبالرتب لكي يكف عن حملته على السلطان فلم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه .

وقد أخبرني رحمه الله مرة انه في سبيل الحركات العمومية انشأ جمعية سرية تناوىء تركيا وقد لاقى في سبيلها كثيراً من الاضطهاد والدسائس ، وكان يكتم كل هذا عن شريكيه حتى لا يقلقا فيضطرب سير العمل ، ولا تزال حجرة مكتبه تحتفظ بذكريات اعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم نمر باشا في مكتبه يدبرون تدبيرهم ويضعون خططهم وقد كان يتلقى أخبار الحكم عليه بالاعدام من الناقمين عليه بسبب سياسة المقطم وهو صامت حتى ألف الصبر على المكايد ، ولم يعبأ بتلك الأحكام بعدما تكررت عليه ثلاثاً بالاعدام وهي لا تزال محفوظة بين أوراقه . وقد رأى مصارع جلاديه واحداً بعد واحد ، فبعضهم مات حتف أنفه ، وبعضهم مات غيلة أو بانفاذ حكم الاعدام فيه .

وقدر صاحب الترجمة وقتئذ جلالة الملك أوسكار ملك أسوج ونروج بصفة كونه رئيس المؤتمر الشرقي فأهداه « وسام المعارف الذهبي » مكافأة على خدماته الجليلة العديدة في تعزيز المعارف ونشر العلوم وهاك نص ما كتبه اليه معتمد الدولة الاسوجية في مصر وقتئذ

كتاب المعتمد الأسوجي

حضرة الفاضل الاديب فارس افندي نمر حفظه الله .

نعلن جنابكم ما نحن عليه من حب أرباب المعارف ومساعدتهم بما تحتمله القدرة رغبة

في تنشيط الهمم واعلاء كلمة الأدب . وقد رأينا من آثاركم العلمية على تنوع مواضيعها ما تقصر عنه عبارات البلغاء لو عمدوا الى بيانه . فلذلك طلبنا الى جلالة مولانا الملك أوسكار بلسان الرجاء أن ينظر الى جنابكم بعين لا ترى منه غير عضو من جسم الهيئة العلمية فوقع الطلب موقع القبول إذ أنعمت الحضرة الملكية على الجناب بوسام ذهبي لا يحمله إلا رجال الفنون والصناعات العالية . وسنتقدم الى مصر به حما قريب ليزدان بصدر الجناب لازال في المجالس صدراً وفي المطالع بدراً والسلام عليه ورحمة الله »

الكونت كرلودي لندبرج

قنصل دولتي اسوج ونروج العام ووكيلها السياسي بمصر

وعند عودته من نيويورك زار عواصم اوربا وشاهد معرض باريز في السنة نفسها أي سنة ١٨٩٠ . وجاء لندن واجتمع بكبار السياسيين فيها وقدرته صحفها بالاجماع فنشرت الشيء الكثير عنه وعن آرائه ومكانته المتألقة في عالم الأدب .

والدكتور فارس نمر باشا هو اول شرقي منح درجة الدكتوراه الفخرية فى الفلسفة من جامعة نيويورك ، وذلك تقديراً لبحث أعده مع زميله الدكتور يعقوب صروف في « القطن المصري » وقد ترامت الى هاته الجامعة الزاهرة انباء الفتوح العلمية التي أحرزها فارس نمر مع رصيفه وصديقه يعقوب صروف فدعتهما في شهر يوليو ١٨٩٠ لزيارتها ومنحتهما درجة الدكتوراة الفخرية في الفلسفة تقديراً لفضلهما على الحركة الفكرية في الشرق ، وعلى مشاركتهما علماء الغرب فى بحوثهم ودراساتهم ، واعترافاً بما اسدياه من خدمات للحركة العلمية في العالم في مجلتهما « المقتطف » . وكان رحمه الله يعتز بهذا الفخار العلمي الذي جاءه عن استحقاق على كل رتبه أو جاه .

﴿ جريدة السودان ﴾ وفي سنة ١٩٠٣ انشأ جريدة « السودان » باللغتين العربية والانجليزية في مدينة الخرطوم وكانت ذات ست صفحات كبيرة تبحث في جميع الشؤون التي تعود بالنفع على البلاد السودانية لا سيما الزراعة والتجارة .

وله في خلال السنين الطويلة التي صرفها بين التعليم والعمل بالعلوم مؤلفات وخطب كثيرة طبع القليل منها .

وبالاجمال فان شهرة صاحب الترجمة تغني عن كثرة الاطناب فيه ، ومعارفه التي طارت

شهرتها وذاعت عنه بين الخاصة والعامة تشهد له بالتبريز في عالم الفضل والأدب والعلم .

أما الفوائد العملية التي جنى البعيد والقريب قطوفها من فضله ، فقد حملت جماهير العلماء والفضلاء على الاعتراف له بالسبق في مضمار العلم والأدب ، ولا يقوى سامع لكلامه ، أو قارىء لمقالاته ، على غمط هذا الفضل العميم .

﴿ عودته الى بيروت ﴾ وكان قبل اعلان الدستور في الدولة العثمانية لا يستطيع الرجوع الى وطنه للاحكام التي كانت سارية في سوريا اذ ذاك، فذهب الى بيروت سنة ١٩١١ بعد غيابه عنها ٣٦ سنة ، فاحتفل العلماء والأصدقاء بقدومه إليها ، وأقامت المدرسة الكلية السورية حفلة خاصة في ناديها تكريماً لهذا الزائر الكريم ، الذي تعلّم وعلّم فيها فخطب بفصاحته المشهورة خطبة أعجب بها كل الحاضرين، وذكرتهم بمواقفه الخطابية أيام الدراسة .

﴿ شيء من آثاره ﴾ وكان رحمه الله أبلغ سياسي في الشرق وأفصح خطيب عربي غير منازع . ومنذ انشاء جريدة المقطم انقطع لى تحريرها مع الاشتراك في تحرير المقتطف كلما سنحت له الفرصة حتى منعته أعماله فأسند رياسة تحرير المقطم الى سعادة الشيخ المحترم خليل ثابت باشا ثم الى سعادة كريم ثابت باشا ثم من بعدهما الى الأستاذ انطون نجيب مطر .

وقد ترجم مع زميله وأخيه الروحي المرحوم الدكتور يعقوب صروف كتاب « سير الأبطال والعظماء » وكتاب « مشاهير العلماء » وغيرهما من أنفس الكتب

وكان الفقيد العظيم عضواً بارزاً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالعاصمة ـ وعضواً في المجمع المصري للثقافة العلمية وعضواً في مجلس الشيوخ سابقاً ، وله في مضابط هذه المجامع مقترحات ومحاضرات ومناقشات تشهد بحكمته وبعد نظره وعبقريته الفذة .

وله يد طولى في انشاء نقابة الصحفيين . والصحافيون يذكرون له أياديه أجل الذكرى . وقد فقدت الأسرة الصحفية بفقده ركناً وطيداً من أركانها ودعامة قوية من دعائمها . بل لقد انطوت بوفاته صفحة خالدة سوف تبقى على مرّ الأيام ، وكر الأعوام ، شاهدة بنبوغه وفلسفته وعفة لسانه وقلمه .

وكان أبعد الناس عن ذكر شيء تشمّ منه رائحة المدح لنفسه ، فقد قضينا في خدمة المقتطف أكثر من ربع قرن فلم نسمع منه ذكر أدنى عمل من أعماله في معرض الاستحسان ، وحاولنا غير مرة ان نستشف منه القليل عن سيرة حياته وعن ذكرياته عن الشرق ومصر

خاصة، فكان يحوّل مسائلنا إلى غير المقصود، ثم يستطرد منها الى ما يتخلص به من الجواب ويسد علينا باب السؤال، ولتواضعه كان يجتنب كل معرض يمدحه الناس فيه.

ومن مزاياه انه إذا ارتكب خطأ في مسألة وأرشده أحد الى الصواب بادر الى الاقرار بالخطأ مع الشكر لمن نبهه عليه. وهاك برهاناً ناصعاً بما كتبه الى سيادة الحبر الجليل اقليميس يوسف داود، مطران دمشق لطائفة السريان [1].

« . هذا وإننا نختم هذه الاسطر بالشكر الجزيل لسيادته ونؤكد له إننا نجلّ الرسالة التي تنبهنا الى خطإ ارتكبناه اكثر من الرسالة التي تمدحنا على صواب اتيناه. ولسنا ممن يحسب أن قدر الناس يحط بالاعتراض على اقوالهم »

هذا ويندر أن يتفوّق الانسان الواحد في قوة الادراك والذاكرة معاً، كما تفوّق المرحوم الدكتور فارس نمر باشا بدليل اشتغاله في أسمى العلوم، ولا ينكر أحد ممن عرفه وعاشره أنه من الأفراد المعدودين الذين فاقوا في قوة الذاكرة. وكنت أتعجب إذا حادثته وهو يسرد عليّ بعض الحوادث أو الأشياء بتواريخها المضبوطة، وأغرب من ذلك أنك لا تطلب منه شاهداً على مسألة من المسائل إلاّ هداك حالاً الى الكتاب والتاريخ الذي فيه شاهدك، كأنه قرأه تلك الساعة، كما وقع لنا غير مرة ونحن نقرأ مسودات كتاب الروّاد الذي طبع هدية المقتطف لسنة ١٩٢٧، فقد كنا نشتبه في بعض الأسماء والحوادث فكان يرشدنا إليها بدقة.

وهكذا كان فقيدنا العظيم نمر باشا قوي الذاكرة قوة غريبة بقيت معه حتى آخر أيام حياته. فقد زرته فى شهر مايو الماضي بمنزله بالمعادي فاستقبلني بوجهه الباسم وبحفاوة وترحاب، وأخذ يتحدث اليّ في أمور كثيرة وفي نواح متعددة وتطرق الحديث الى المقتطف فأسدى اليّ نصائحه الغالية وارشاداته النفيسة، فقلت لسعادته إننا سنحتفل في هذه السنة بيوبيل المقتطف الماسي بمناسبة انقضاء ٧٥ سنة على تأسيس المجلة، وكل مناي ان أراكم يا سعادة الدكتور تتقدمون الصفوف لتشهدوا هذه الحفلة كما شهدتم حفلة اليوبيل الذهبي في سنة ١٩٢٦

وتذكاراً لهذه المناسبة السعيدة أود أن أصدر الفهرست الكامل للمقتطف من ١٨٧٦ -

---

[1] راجع المقتطف السنة ١٢ لشهر فبراير سنة ١٨٨٨

١٩٥١ ، غير أن نفقات طبع هذا الفهرست باهظة ففهم سعادته ما أقصده فقال : —

«يا بني لقد تربيت معنا وصار لك أكثر من ربع قرن في خدمة المقتطف حتى صار اسم المقتطف مقروناً باسمك وأنا راض عنك وعن اخلاصك في عملك كل الرضا وأوصيك بأن تسير على الخطة التي سرت عليها كل هذه السنين ، وأن تضفي على المقتطف من شبابك وعلمك وتخطو به دائماً الى الأمام ، أما حضوري لحفلة اليوبيل الماسي فأجلي لا يمهلني لحضور هذه الحفلة فان المرض يشتد عليّ من يوم الى آخر وأما طبع الفهرست الكامل من ١٨٧٦ الى ١٩٥١ لموضوعات المقتطف فقدم اليّ تقريراً بنفقات طبعه حتى أنظر فيها» وكأن المنية كانت معه على موعد لحرمته لذة ساعة يتوّج فيها جهده الأدبي وجهاده العلمي.

ولكن اذا كان الدكتور نمر باشا قد ذهب فان المشعل الذي رفعه — المقتطف — لايزال مرفوعاً ، وسيبقى اسمه مخلداً ما دامت في الوجود مجلة اسمها « المقتطف ».

*

والمقتطف الذي أرّخ أحداث العالم وسجل نهضاته العلمية والأدبية خلال خمسة وسبعين عاماً ، فانه سيبقى على مر الأيام وكر الأعوام يتابع اداء رسالته على أكمل وجه. يعزّ عليه أن يجلل صفحاته بالسواد حداداً على راعيه ومنشئه الدكتور فارس نمر باشا .

ويعزى الأمة العربية الكريمة عامة ومحبي الفقيد وتلاميذه في أنحاء الشرق الذين تخرجوا في مدرسته ، وحضرات نجله وكريماته وحفيده وسائر أعضاء أسرته الكريمة على وجه خاص ويسأل الله أن يتولى فقيدنا العزيز برحمته ورضوانه ، وأن يسكنه فسيح جناته جزاء كثرة حسناته ومبرانه ، وان يلهمنا جميعاً الصبر والعزاء .

*

ولا أنس وأنا أسجل طرفاً من حياة فقيدنا الكريم بل والدنا الجليل ، أن أزجي شكر (المقتطف) وشكري الخالص الى كل من واسانا في مصابنا العظيم من حضرات الزملاء الكرام والعلماء والعظماء ورجال الأدب والسياسة ، راجياً أن يجنب الله الجميع كل سوء ، وأن يعتبر الجميع ذلك شكراً خاصاً . على ما تفضلوا به من جميل العزاء .

اسبيرو جبور
رئيس تحرير المقتطف

يسعدنا في هذه المناسبة أن نسجل فيما يلي أول ما كتبه المغفور لهما الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر في أول عدد أصدراه من مجلة المقتطف في عاصمة الديار المصرية وهو الجزء السادس من السنة التاسعة الذي صدر في شهر مارس ١٨٨٥ عقب رحيلهما من بيروت .

ومما يذكر أن هذه الكلمة تضمنت جانباً مهماً من احساسهما وشعورهما وهذا نصها : — [المحرر]

وداع ولقاء وتشرف وثناء

فارق المقتطف سورية وفي القلب عليها انين، وودّع ربوعها وفي النفس اليها حنين .

لله أيامٌ تقضت لي بها ما زلت نحو ظلالها متشوقا

رعاك الله بلاداً نشأ فيها وشب ، وأعزّ ديارك ديار العلم والأدب ، فلكم جدتِ عليه بافضالك وآلائك ، فكيف يحول الدهر عن حفظ ولائك ، أو يغلق أبوابه عن أقلام أدبائك ، أو يبخل بنشر طيب فضلائك . يستودع الله بلاداً فاحت نواديها بعبير المعارف ، وفاضت أياديها بالفواضل والعوارف ، وعلماء علا صيتهم على الجوزاء ، وادباء انتظموا إنتظام الثريا في السماء، وإخواناً يوم الكريهة صبروا ، وخلاناً في الوداد ما كفروا .

يستودع الله فخر علمائنا ، وذخر أدبائنا ، فيلسوف سورية واباها ، ونصير الفضيلة وأخاها ، الساحر العقول بعظم عقله ، السابي القلوب بلطفه وفضله ، لولا فراقك يا حلية الفضلاء ، وزينة العقلاء ، الرائد عظمة باتضاعه ، المعلم التقوى بحسن فعاله وطباعه ، لولا فراقك لهان الفراق، ولولا الأمل بلقاك لم يعذب تلاق .

بلادي بلادي ولو اصبحت عنها غريباً ، وأهلوها أهلي ولو لم أكن منهم قريباً ، على انه لم يهجر الوطن من استبدل سورية بهذه الامصار ، ولا تغرّب نزيل الكرام في هذه الديار ، فالشرق وطن واحد اشتركنا في عوائده ومشاربه ، واستوينا في احكامه ومذاهبه .

تلقى بكل بلادٍ إن حللت « به » أهلاً بأهلٍ وإخواناً باخوان

كيف لا وقد لقي المقتطف في مصر ، ما يشكر عليه مدى الدهر ، من حسن التفات الكبراء والوجهاء ، وعناية العلماء والأدباء ، وكفاه شرفاً ان يحلى جيده ، وتوشى بروده، بيد رجلي هذا القطر ، وفرقدي قطب مصر ، وزيري سموه الخطيرين ، صاحبي الدولة شريف باشا ورياض باشا الشهيرين .وقد صدّرنا هذا الجزء برسالتيهما رافعين الوية الثناء على تلك اليد البيضاء .

الولد التائه

تمثيلية شعرية في فصل واحد

للدكتور احمد زكي ابو شادي

(حكي عن أعرابية أنه تاه منها ولدها فراحت ملهوفة تسأل جماعة من الناس عنه، فسألوها أن تصفه لهم حتى يستدلوا عليه، فقالت: إنه بهي الطلعة كالذهب الابريز وغمرتهم بأوصاف أخرى كهذه حيرتهم ولم تساعدهم ثم عادت فمرت بهم بعد ذلك حاملة طفلاً على كتفها وهو في لونه أقرب الى السواد، قائلة لهم — ها قد وجدت الطفل! فعجبوا منها وقالوا — لماذا لم تصفي لنا هذا الولد فقد كان يلعب حولنا طول اليوم؟)

الاعرابية : يا من رأى طفلي؟

الاعرابي الاول : صفيه لنا!

الاعرابية : ولدي؟... ولدي هو الذهب الابريز!

الجمع (ضاحكين) : الذهب الابريز؟!

الاعرابية : أجل! هو الذهب الابريز، طلعته إن لم تكنه فشمس في تجليها؟
إذا نظرت إليه زدت منه غنى كالشمس تسكب تبراً فوق رائيها
بل إنه فوق نور الشمس منزلةً!

الجمع (ضاحكين) : الشمس؟ سبحان ربي!

الاعرابية : دعوني أكمل وصفي!

الاعرابي الاول: دعوها! دعوها!

الاعرابي الثاني : ليس المزاحُ بسائغٍ إن كان تأباه الشهامة!

الاعرابية : ولدي جواهر لم تكيف بعد في أوصافها!
وله سماتٌ للملائك!

الجمع (ضاحكين)! : ليتنا ندري الملائك!

الاعرابية : أين التعاون منكمو ؟ هل في الحياة سوى التعاون ؟
ولدي تراه كأنه حالٍ بأضواء الجنان
وحديثه الأنغام راقصة كرقصات الغواني !

الجمع : الله أكبر !

الاعرابي الاول. إننا لم نلق طفلاً هكذا !

الاعرابي الثاني : أما بوسعك تحديدٌ لأوصافه ؟

الجمع : أما بوسعك ؟

الاعرابية : ولدي صغير كالكواكب وهو يكسفها ابتسامه
وتشع عيناه بلون البحر داعبه سلامه
وبدت على قسماته للعبقرية والجمال
صورٌ تناجيها البلابل كالأشعة والظلال !

الاعرابي الثالث : صور كهذي إنما هي من تصاوير المحال !

الاعرابية : لا خير لي في وقفتي هذي وتكراري البيانا . . . .
عليَّ أرى من غيركم عوناً !

الجمع : لعلك تهتدين إليه !

(تمضي الاعرابية باحثة)

الاعرابي الاول : يا قوم ماذا تحسبون أصاب هذي الامرأة ؟

الاعرابي الثاني : ألديك ريب في اصابتها بنوع من هوس ؟

الجمع : لا ريب ! لا ريب !

الاعرابي الثالث : يخال اليَّ دعواها صحيحه !

الاعرابي الرابع: ربما ! ربما !

الاعرابي الاول: إذن سامحوها اذا أسرفت بأوصافها في ازدهاء عجيب !
فكم زين الحب للعابديه فنون الخيال الكذوب الغريب !

الاعرابي الثالث : وهل أحب الى الانسان من ولده ؟

الاعرابي الرابع : نعم أحب الى الانسان من ولده حب تمثل في تقديسه بلده !

الاعرابي الثاني : أحسنت يا صاحبي أحسنت تعبيراً لولا المواطن لم نستشرف النورا

الاعرابي الرابع : أجل ! هي ابني ونفسي بل وآصرتي وكل غال من الدنيا أعليه
مهما ترحلت لا رعيي ولا غنمي تغني ونفسي، فني بعدي أفديه !

الاعرابي الثالث : اما قطيعي فعندي الموطن الباقي أنى ترحلت !

الاعرابي الرابع :. . . . . هذا روح املاق!

الاعرابي الاول : أنظروا ! أنظروا !

الاعرابي الرابع : . . . . يخال إليا أنها وقفت . . . . . .

الاعرابي الثالث : . . . . ليس هذا بابنها !

الاعرابي الثاني : يكاد يكون زنجيًّا !

الاعرابي الرابع : . . . . سنعلم سرها منها فصبراً فهي قادمة !

(تقترب الاعرابية من الجمع)

الاعرابية : أحمد الله قد وجدت غلامي !

(مقتربة)

الجمع (دهشين) : هذا ؟ هذا ؟

الاعرابية : نعم هذا غلامي ! لا جمال مثله !

فهل بالغت في وصفي ؟ . . . . أجيبوا ؟

الاعرابي الاول : لماذا لم تقولي إن هذا غلامك ؟

الاعرابية : وماذا كنت أحكي عند وصفي سناه ؟

الاعرابي الثاني : (دهشاً) أراك شططت في وصفك جداً !

الاعرابية : (دهشة) شططت وهذا قرة العين بل روحي ؟ !

الاعرابي الثاني : لم نكن نحسب هذا الولد الأسود معبود فؤادك !

الاعرابي الاول : قد كان يلعب طول هذا اليوم حراً بيننا !

الاعرابية : (دهشة) عجيب أنكم لا تشهدون الحسن وضاء عليه !

الاعرابي الثالث : رحم الله شاعرنا القائل — « حسن في كل عين ما تود » .

الاعرابية : لو كنتمو اعارفين الحسن معرفتي لما غررتم، وأدركتم مدى حبي!

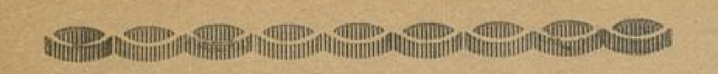
أتعرفون المعاني حول طلعته ؟ أتعرفون بماذا نابض قلبي ؟

الجمع : بماذا ؟ بماذا ؟

الاعرابية : هذا الصغير الذي لم يرضكم وصفه هو الممثل ما أهواه من فِتن

هو الجمال لروحي وهو عزتها ففيه أكرم ما أرعاه للوطن !

(النهاية)

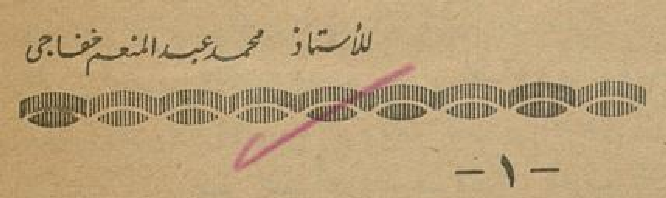


الحياة الادبية

في صدر الدولة العباسية



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي



— ١ —

إذا كانت آثار الثقافات المترجمة قد صبغت الحياة العقلية والاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني بأصباغ جديدة ، فقد كان أثرها في الأدب واللغة متفاوتاً ، فظلت مناهج الأداء والأساليب ولغة الكتابة والشعر قريبة مما كانت عليه من قبل ، من حيث نضجت معاني الكتاب وخيالات الشعراء وعمقت صياغتهم الذهنية، وتفكيرهم العقلي، إلى حد كبير .

وإذا كانت الثقافات الحديثة قد طغت موجتها على كثير من نواحي الحياة والتفكير ، فان العربية كانت أعز من أن تحني رأسها للعواصف الجامحة التى تهدم من حرصها الشاهق أو تزعزع من ثقتها القوية بالنفس ، وظلت كما هي لغة التفكير والأدب ، وإن سايرت حركة الرقي ولم تقف جامدة ضعيفة الاحساس بالحياة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد وضعت موضع العناية بالترجمة فان الأدب اليوناني لم يترجم منه شيء ولم يتأثر به الأدب والشعر في نهضتهما الوثابة في هذا العصر الحافل [1] ، لتباين الأذواق ، ولاعتداد العرب بنفسهم ولغتهم وأدبهم ، ولاختلاف حياة العرب واليونان التي يصورها الأدب ويكون أوضح مثال لها ؛ وعلى أي حال فان الثقافة اليونانية قد صبغت عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة في التفكير والخيال والمعاني [2] وطرافة التقسيم .

(١) ٤٥ بارتولد ، ٦٦ الفن ومذاهبه ، ٢٨٧ التوجيه الادبي ، ٢٣٥ الادب العباسي لمحمود مصطفى ، ٢٨٠ ج ١ ضحى الاسلام ، ٢٤٤ الزيات

(٢) وقد أفاد الادب العربي من القصص والحكم اليونانيـة التى انتشرت في الثقافة الاسلامية ، وعربت كثير من الالفاظ اليونانية .

وتأثير الثقافة الهندية في الأدب العربي كذلك كان طفيفاً لا يعدو تلك الأفكار التي كانت تتساقط من علم النجوم أو الرياضة في الشعر، وهذه القصص الهندية التي أولع العرب بها ونقلوها الى العربية ككليلة ودمنة الذي نقلوه من الفارسية إلى لغتهم، وتلك الحكم التي تهبه الأمثال العربية، وهذه الألفاظ التي عربوها وأدخلوها إلى العربية .

وأثر الفرس في الأدب العربي كبير، فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون ووصف الراح، وأدب الزهد تأثر كثيراً بنزعات الفرس، وعنهم نقلت آثار كثيرة من الأدب القصصي ككليلة ودمنة وهزار افسانه، والتوقيعات كان للفرس فيها أثر كبير، وقد ترجمت من الفارسية توقيعات كسرى؛ هذا إلى أنه كان للفرس شعر وأمثال وأدب كثير وضع تحت أعين العرب؛ وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير في الأدب كالعتابي وأبي نواس وبشار وسواهم، فأخرجوا أدباً عربياً فيه معاني الفرس وبلاغة العرب، وكان الشعراء ينظمون ما يتسرب اليهم من الصور الفارسية. كان كسرى أبو شروان مشتهراً بالنرجس، وكان يقول: هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر فقال الشاعر :

وياقوتة صفراء في رأس درة	مركبة في قائم من زبرجد
كأن بقايا الطل في جنباتها	بقية دمع فوق خد مورد [1]

وكان أردشير بن بابك يصف الورد بأنه در أبيض وياقوت أحمر على كرسي زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر [2]:

كأنهن يواقيت يطيف بها	زمرد وسطه شذر من الذهب
فأشرب على منظر مستطرف حسن	من خمرة مزة كالجمر في اللهب

وأخذ ابن الرومي معنى حكمة لبهرام جور [3] فنظمه شعراً [4]. وكان من الفرس كبار الكتاب الأوائل الواضعين لأساس صناعة الانشاء (الكتابة الفنية) في الدواوين، وكان منهم شعراء أحدثوا آثاراً واسعة في أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه، ونقلوا

(١) ٢٣٢ ج ٢ زهر الآداب .

(٢) وينسب البيت الاول لعلي بن الجهم (٢٣ ج ٢ ديوان المعاني) قال أبو هلال : وهو من قول اردشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كرسي زبرجد يتوسطه شذور من الذهب .

(٣) فارسي قديم تعلم العربية في الحيرة وشعر بها، ويقول شمس الدين الرازي في كتاب «المعجم» إنه أول من نظم شعراً فارسياً وأخذه من العرب وكان علماء الفرس يستهجنون منه قرض الشعر

(٤) ٢٧٨ ج ٢ وما بعدها زهر الآداب .

للخلفاء والأمراء والوزراء كثيراً من آداب الفرس وحكمتهم وأمثالهم وتاريخهم وقصصهم وأسمارهم ، مما ظهر أثره في الأدب العربي واضحاً . وإذا كان الأدب في عهد بني أمية عربيًّا خالصاً في المادة والمعنى ، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظه وروايته ؛ فقد كان في عهد بني العباس أثرهم أعمق ، لا في الأسلوب البياني ، بل في التفكير والخيال ، وبتأثيرهم تنوعت الأغراض ، وظهر التأنق في النثر والشعر ، وطلبت الرقة والدماثة ، مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأساليبها .

— ٢ —

ويمتاز الأدب في هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه ، وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية ، وبكثرة الحكم وأخبار الزهد والزهاد فيه ، وبتأليف الكتب الجامعة في الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل والعقد ؛ وبأن الأدب أصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف ؛ وأظهر ما يتجلى فيه ابداع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والاكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية . وقد أصاب صناعة الأدب كساد لفساد الدولة وقلة التشجيع وشيوع الشعوبية وانصراف الناس إلى الفلسفة وعلومها مما يبسطه ابن قتيبة في مقدمة أدب الكاتب بوضوح .

— ٣ —

وقد ضعفت الخطابة بزوال أسبابها وأعجمية رجال الدولة ولأن الدولة قد توطدت دعائمها ، وحكمت بالاستبداد ، وبطلت الخطابة في الجيوش ، وضعفت الملكات . كذلك صار في الكتابة — وقد تنوعت أساليبها وأغراضها — غنى عن الخطابة ؛ فضعف شأنها ولم يبق لها إلا مظهرها الديني ، حيث كان الخلفاء يخرجون للصلوات الجامعة ويخطبون الناس ، وكان آخر خليفة خطب على المنبر هو الراضي (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) [١] .

وقد بلغت كتابة الرسائل في هذا العصر مكانة عالية ، وقد كان للانقلاب العباسي أثر عظيم في الميول والعقول ، ظهر على أقلام الكاتبين ، فاستنبطوا عيون المعاني ، وتخيروا شريف الألفاظ ، مما لم يكن حوشيًّا ساقطاً سوقيًّا ، وفتحوا أبواب البديع ؛ وبذ الكتاب فحول الشعر في عظمة الحياة والرياسة ، وتسنموا أرفع المناصب في الدولة ، واشتهر منهم : محمد بن عبد الملك الزيات ، وآل وهب ، وسواهم ، من أعلام الكتابة . كما نبغ في الأدب والشعر جمهور كبير . ونهض الشعر في هذا العصر نهضته العظمى . . مما سنتحدث عنه في الدراسات التالية .

(١) راجع ٢١٣ الزيات ، ٥٤ وما بعدها الأدب العباسي لمحمود مصطفى ، ١٠٤ وما بعدها العصر العباسي للعباسي بيومي .



منظر الكرة الارضية

من ارتفاع ثمانين ميلاً

للأستاذ أمين عبده

في أواخر الحرب العالمية الثانية استولى الجيش الأميركي على نحو مائة صاروخ مما كان يطلقه الألمان على الحلفاء للارهاب والتدمير . وهي صواريخ تفوق في سرعتها سرعة الصوت ولا تحدث صوتاً أثناء سيرها حتى حين اقترابها من الهدف . ولذا لم يسع الحلفاء توقي أضرارها .

فلما استولى عليها الأمريكان استخدموها في الأغراض العلمية بأن زوّدوا الواحد منها بآلة تصوير فوتوغرافي لالتقاط صور الأرض من أعالي الجو . كما زودوه أيضاً بآلات أخرى أوتوماتيكية منها آلة لقياس قوة انحدار الأشعة الكونية . وأخرى لقياس قوة جاذبية الأرض . . وأخرى لقياس درجات الحرارة في مختلف الارتفاعات . وأخرى للضغط الجوي وغير ذلك . على أن يتم انجاز كل هـذا في خلال الدقيقتين أو الثلاثة التي يصرفها الصاروخ في الجو .

وهذه الآلات من شأنها أن تسجل كل ذلك تلقائيًّا وتوسل نتائج عملها الى الأرض بإشارات راديو كل آلة بمـا نيطت به . ومعظم هذه الآلات لا تستخدم إلا مرة واحدة لأنها تتهشم على أثر سقوطها على الأرض مع الصاروخ المرتد بعد بضع دقائق من إطلاقه . إلا أن الفلم الفوتوغرافي المشتمل على المناظر المصورة يظل سليما .

وكان مما استرعى النظر تلك الصور الفوتوغرافية للأرض المصورة لأول مرة في التاريخ من مثل هذه الارتفاعات الشاهقة حيث التقطت الآلة الفوتوغرافية صوراً متعددة في فترات متقاربة كل منها ثانية ونصف ثانية . بدأت من وقت انطلاق الصاروخ حتى بلغ في

ارتفاعه ثلاثة وثمانين ميلاً . كذا في العودة حتى صار على بعد أربعين ميلاً من الأرض .
وقد بدا منظر الأرض عجيباً في تلك الصور . حتى لوحظ التقوس في أفقها . كما ظهرت في الصور سلاسل الجبال الكبيرة ، والأنهر الطويلة ، والسهول المنبسطة . كل ذلك كان واضحاً وضوحاً يستدعي النظر ويستهوي القلوب . وقد شملت بعض الصور مساحات قدرها مائة ألف ميل مربع .

وقد تخطى الصاروخ المنطلق طبقة « الاستراتوسفير في الجو[1] حتى بلغ الطبقة السفلى من « الايونوسفير » . والأخيرة هي التي تزيد عندها موجات الراديو فتعود إلى الأرض ثانية . كما إنها الطبقة التي يظهر فيها الأفق القطبي .

وبضم تلك الصور إلى بعضها رُئي أنها شملت مساحة مليون ميل مربع . وقدِّر بأن مجموعتين أو ثلاثة منها تكفي لاظهار منظر الولايات المتحدة الأمريكية كلها . وان تسعة من أمثالها تكفي لابراز صورة كاملة لأميركا الشمالية .

نتائج هذه التجارب هي بمثابة توطئة لمحاولة تصوير مراكز العدو في أوقات الحروب . وذلك باطلاق قذيفة مسيرة وبها آلة تصوير فونوغرافي . أما لو أتيح اطلاق قذيفة بها آلة للرؤية عن بعد « تليفزيون » لأمكن مشاهدة كل ما يجري في ميدان القتال من حركات وسكنات .

أما في أوقات السلم فقد يستطاع تصوير المناطق النائية الصعبة الارتياد كالجبال الوعرة والأدغال الكثيفة . والصحاري الواسعة والمستنقعات . كما يمكن تصوير أواسط القارة المتجمدة الجنوبية بهذه الطريقة . وبالاجمال يمكن تصوير سائر أنحاء الكرة الأرضية إذا دعت الحال .

وقد يسرت هذه الصور لرجال ادارة الارصاد الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية تحقيق نظريات حديثة بصدد تكوينات الغيوم لم يكن من المستطاع تحقيقها من قبل . فمنها أن تكثف الغيوم فوق الوديان المنخفضة أقل منه فوق الجبال والهضاب المرتفعة في أثناء النهار لأن الهواء الساخن الحامل للبخار المائي ينساب صعداً مع مرتفعات الجبال حيث يتكثف فتتألف الغيوم . وبناء عليه فهي في تكوينها تابعة لطبيعة الأرض .

وللصور فائدة أخرى إذ يستعان بها على معرفة مصدر الأشعة الكونية أهي صادرة

(١) راجع مقال « حدود جديدة للارض » مقتطف مايو سنة ١٩٤٨ ،

عن الشمس أو آتية من وراء النجوم الأبعد مدى . لأن اصطدام هذه الأشعة بالصاروخ وهو منطلق في الجو يبدو أثره في الصور المأخوذة فيعرفه الفاحص المدقق . ولا يخفى أن الأشعة الكونية هي دقائق مشحونة بالكهرباء ومنصبة على الأرض بقوة هائلة دونها اشعاعات القنبلة الذرية وهي تدخل في أجسام الناس من عشر إلى عشرين مرة في الثانية الواحدة . إلاّ أن تأثيرها فيها غير معروف للآن .

ومما زودوا به الصاروخ آلات خاصة تحصي عدد الاشعاعات الآتية من جهات مختلفة وذلك في كل ثانية تمر من وقت اطلاق الصاروخ الى وقت عودته .

ويأخذ الصاروخ في الاضطراب والتذبذب عند ما يبلغ خمسة وعشرين ميلاً في الجو . فيدور حول نفسه ويترنح وتتخذ مقدمته وجهات مختلفة . غير أن زاوية انحرافه سيعرف مقدارها بعد قياسها في مختلف الصور . كما أن جميع الصور موقوتة بزمن إلتقاطها .

وتطلق الصواريخ عموديًّا . وإن أقصى ما بلغه الصاروخ من الارتفاع لا يتعدى ١١٦ ميلاً . وقد أظهرت البحوث بأن الضغط الجوي على ارتفاع ثمانين ميلاً لا يتعدى جزءاً من عشرة ملايين جزء مما هو عليه عند سطح الأرض . لأن جو الأرض ينتهي على بعد ١٤ ميلاً من سطحها تقريباً .

أما فيما يتصل بتفاوت درجات الحرارة والبرودة في مختلف طبقات الجو فأمر يدعو إلى الدهشة ، فعلى ارتفاع عشرة أميال انخفضت درجة الحرارة إلى ٦٣° فهرنهيت تحت الصفر . ثم تذبذبت في العشرة الأميال التالية وعلى ارتفاع عشرين إلى ثلاثين ميلاً بلغت ٦٥° درجة تحت الصفر تقريباً . ثم هبطت مرة أخرى على ارتفاع خمسين ميلاً تقريباً إلى ١٥٠° درجة — أما على ارتفاع خمسة وسبعين ميلاً فقد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً حيث بلغت ٢١٢° درجة فوق الصفر وهي درجة غليان الماء عند مستوى سطح البحر .

وكانت ترد هذه البيانات وغيرها تباعاً بطريقة آلية . ولقياس درجات الحرارة صنع بارومتر خاص أتخذ من معدنين مختلفين ضما إلى بعضهما بطريقة اللحام . وكلٌ منهما مقاوم للتغييرات الجوية من برودة وحرارة وإذ هما كذلك يولدان تياراً كهربائيًّا صغيراً تتناسب قوته مع الحرارة . وهذا التيار المتغير يتحول إلى اشارات راديو . التي بدورها تتغير قوة وضعفاً بالتبعية فتعطي بيان درجات الحرارة والبرودة حيث هي في الطبقات العليا .

ووضعوا في بعض الصواريخ نماذج من بعض الحبوب كذا بعض أنواع ذباب الفاكهة

وأطلقوه إلى ارتفاع خمسة وثمانين ميلاً لاختبار تأثير الأشعة الكونية فيها غير أن النتائج لم تعرف بعد. كما أنهم عمدوا إلى أخذ نماذج من الهواء مما في طبقات الجو العليا حفظت في زجاجات من الصلب عملت بطريقة آلية أيضاً وبعد فحصها وجدوا أن كلاً من غازات الهليوم والهيدروجين والأوكسيجين والنتروجين في الهواء على ارتفاع خمسة وأربعين ميلاً هي بذات نسبها عند مستوى سطح البحر. وتلك النتيجة قد شجعت الاعتقاد القديم القائل بأن غازي الهليوم والهيدروجين يطفوان على ما عداهما من الغازات لخفة وزنهما.

وقد وقع الاختيار على منطقة « وايت شاند » بولاية المكسيك لاطلاق الصواريخ منها لأنها سهل منبسط قليل المساكن والاشجار وذات جوّ صاف يتيح للمشاهد تتبع الصاروخ المنطلق بالمنظار وآلة التصوير إلى أبعد مدى مستطاع.

ويجتمع في مكان اطلاق الصاروخ ممثلو وحدات الجيش المختلفة وبعض العلماء موفدين من مختلف الهيئات الصناعية والجامعات لشهود الحادث.

واطلاق الصاروخ عملية دقيقة تقوم بها شركة « جنرال اليكترك » تحت إشراف سلاح مدفعية الجيش حيث تفحص أجزاء الصاروخ فحصاً دقيقاً للوقوف على حسن نظام حركتها في اليوم المحدد لاطلاقه يجتمع هذا الحفل. وقبل اطلاقه بنحو ثلاث ساعات تملأ مستودعات وقود الصاروخ بعشرة أطنان من الكحول والأوكسيجين السائل. ويقف الحرس مدججاً بالسلاح لتنفيذ الاوامر المشددة بمنع التدخين أثناء القيام بهذه العملية الخطيرة. ثم تسد الطرق ويمنع المرور قبل اطلاق الصاروخ بخمس وأربعين دقيقة. وقبل خمس عشرة دقيقة ينطلق دخان ذو لون أحمر ايذاناً باقتراب لحظة الاطلاق من مبنى حصين أقيم خصيصاً لاحتماء الجماعة فيه من احتمال وقوع أي طارىء.

وفي اللحظة الأخيرة يشرع في وصل الدوائر الالكترونية الخاصة بالآلات تحت مراقبة تجري عن بعد لضرورة تسخينها قبل قيامها بالعمل بنحو عشرين دقيقة. كما أن بعضها يحتاج إلى تيار كهربائي شديد لتسخينها فتستمد تلك القوة من الخارج. وبعد ذلك يتم وصلها بالبطاريات التي بداخل الصاروخ قبل اطلاقه ببضع ثوان.

وقبل اطلاق الصاروخ بنصف دقيقة فقط يتم وصل آلة الراديو التي ستقوم بإرسال الاشارات التي تمليها عليها سائر الآلات العلمية المشار إليها في صدر هذا المقال كل بما نيط به.

ولدى صدور الأمر المصطلح عليه بكلمة « نار » يعمل المفتاح الذي يفتح صمامات

الوقود فينحدر جانب من الأوكسيجين والكحول إلى غرفة الاستقبال حيث يستعمل بواسطة شرارة كهربائية . وبعد ذلك يفتح آخر مفتاح لتشغيل طلمبات الوقود التي تدفع به إلى غرفة الاستقبال . ثم تفصل الأسلاك المتصلة به والتي عن طريقها أديرت المفاتيح . ويترك الصاروخ للعمل من تلقاء نفسه . فتخرج الغازات الحارة من مؤخرته مع قوة دفع تقدر بخمسة وعشرين طناً وينطلق بقوة خمسمائة ألف حصان .

وينفد الوقود الذي بالصاروخ كله في مدة لا تتجاوز ٦٥ ثانية. وفي هذه المدة يكون قد بلغ في الارتفاع ما يقرب من عشرين ميلاً . وبعد ذلك يتابع الانطلاق بقوة الدفع الذاتي .

وفي الصاروخ «طيار أوتوماتيكي» يعمل على حفظ توازنه كما يقوم بتحريك دوارات القيادة المثبتة في أطراف ذيله والتي تعمل بنشاط بعد نفاد وقود الصاروخ طالما يوجد هواء في الجو تستند إليه في الدفع ثم تفقد وظيفتها عند ما يقل الهواء في الطبقات العليا . عندئذ يأخذ الصاروخ في الدوران حول نفسه والترنح .

تؤخذ للصاروخ صور سينمائية أثناء انطلاقه في الجو .

ولدى عودته بعد أن يبلغ أقصى مداه يفصل رأسه المشتملة على معظم الآلات العلمية عن جسمه بطريقة آلية وذلك عند ما يكون على بعد أربعين ميلاً من سطح الأرض لتخفيف أثر الصدمة على الآلات بعض الشيء . أما الآلة الفوتوغرافية فوضعها من الصاروخ مكان بارز في جنبه . وعند سقوط الصاروخ تتهشم الآلة إلا أن « الفلم » يظل سليماً . أما سرعة إلتقاط الصور فهي جزء من خمسمائة جزء من الثانية .

ولو أن الصاروخ لا يعتبر من القذائف المسيرة إذ لا يمكن التحكم في سيره إلا أنه يبشر بفوز جدير بأن يحدث ثورة في أسلحة الحروب الحديثة. وان البيانات التي حصلوا عليها عن طبيعة طبقات الجو العليا ستكون ذات أثر محمود عند تصميم أو تحسين القذائف المسيرة للتحكم فيها وتوجيهها الوجهة المطلوبة . وقد يتاح صنع قذيفة تتأثر الهدف وتلاحقه أينما سار إذا كان متحركاً كالطائرات وغيرها .

يستعين العلماء بجهاز الرادار للاستدلال على مكان سقوط الصاروخ بعد أداء مهمته لانقاذ ما يمكن انقاذه من الآلات العلمية . ويتردد في خواطر البعض سؤال طريف وهو : متى يستطاع اطلاق صاروخ نحو القمر ؟ والجواب على هذا هو إنه قد يجوز القيام بمثل هذا العمل لو جاز لنا اعتبار مثل هذه المحاولة تستحق إنفاق بضعة ملايين من الدولارات .

قصة



حياة ضائعة

للأستاذ محمد عاطف السعيد جاد

لم يكن عجيباً أن يرقص قلبها طرباً وتمتلىء نفسها نشوة حينما مات زوجها ! فقد تخلصت بموته من عبء ثقيل رزحت تحته حياتها وأحلامها وآمالها وإنها لترجع بذاكرتها قليلاً إلى الوراء فترى نفسها حينما خطبت له حسناء في الثامنة عشرة رائعة الجمال صارخة الأنوثة.

كانت حينئذ تنتظر فتى أحلامها الذي سيعتبر ظهوره نقطة التحول الهائلة في حياتها . وكان جمالها الرائع وأنوثتها المرهفة يدفعانها إلى الاستسلام للأحلام العذبة والاسترسال في الأخيلة الجميلة . تنسجها مخيلتها فتبدع زينتها وتمنحها رونقاً زاهياً جذاباً .

كانت تقضي نهارها في المرآة لا تفتأ تتزين وتتعطر وتراقب جمالها الفاتن وقد أكسبته ألوان الزينة بهاء على ما هو عليه من بهاء ، وحسناً على ما هو فيه من حسن .

ثم تتخيل بعد ذلك فتى أحلامها وماذا يجب أن يكون عليه شكله حتى يناسب شكلها ، وخلقه حتى يلائم خلقها . فتقدر في نفسها أنه يجب أن يكون طويل القامة رشيقها ، ناعم الشعر أسوده عسليّ العينين واسعهما ، في نظرته صرامة تنبىء عن رجولة مكتملة وفي قسمات وجهه ابتسامة ، تدل على اعتزاز بالنفس وثقة فيها ، ثم هو مع ذلك كله يجب أن يجيد الرقص لأنها تهواه ، ويحسن التقبيل فهو غذاء الحب ! !

أما خلقه فيجب أن يكون صارماً حتى يخضع أنوثتها الثائرة . على ألاّ تمتد به الصرامة الى المشاكسة وحب الشر ، بل يجب أن يكون طيب القلب ، وادع النفس مرهف الحس متأجج العواطف ! . . . . . وهكذا مضت ترسم لنفسها صورة فتاها المرتقب في حرية وسعة ، كأنما أعطتها الأقدار السلطة لتختار بنفسها ما يلائمها .

ولكن الأقدار لا تفعل ذلك أبداً ، ولو فعلته فأعطت كل امرىء ما تمنى لكانت

أرض البشر هي الجنة التي وعدوا بها . واستيقظت من أحلامها وأفاقت من خيالها ، لترى نفسها قد خطبت على الرغم منها إلى صديق والدها العزيز. وهو يماثله سنًّا ولكنه يتخلف عنه في صراحته فقد كان طيباً الى حد الغفلة والبله !

ولم تحاول أن تعترض أو تنكر فأين هي ؟ وهي الضعيفة العاجزة من والدها الشرس العنيد الذي لا يطيق مناقشة في رأيه من أولاده الذكور فما بال بناته الأناث ؟ ! كانت تعرف أن أي اعتراض أو انكار من جانبها لن يؤبه له ما دام والدها قد قرر ما قرر . فاستسلمت للأمر الواقع وودّعت أحلامها العذبة لتعيش مع زوجها العجوز !

وكانت حياتها معه سلسلة طويلة من الشقاء والحرمان والصراع . فقد أبت أنوثتها ورفض جمالها أن يخضعا لذلك الكبت المبكر الذي فرضته عليهما الظروف القاسية وهما ما زالا في عنفوان الشباب وقمته . واستبدّ بها صراع عنيف : صراع بين غريزة بشرية خالدة يتوقف عليها بقاء النوع الانساني . وبين قيم اجتماعية قاسية تتوقف عليها كرامتها وسمعتها في المجتمع الذي تعيش فيه . فغريزتها البشرية تأبى الكبت وترفض الحرمان وهي تريد أن تنطلق في مجراها الطبيعي فتبحث عمن يشبعها ويروي غلتها .

وحياتها الاجتماعية تأبى لا أن تخضعها لمظاهرها المختلفة فهي زوجة ملزمة بالخضوع الى زوجها والاخلاص له حتى ولو كان في ذلك حرمان غرائزها من أن تروى وتشبع .

ولم ينقذها من ذلك كله إلاّ وفاة زوجها العجوز . فلم يكن عجيباً إذن أن تتنفس الصعداء لموته ! فهي ما زالت في ميعة الصبا . وعلى الرغم من أن زوجها قد أولدها طفلاً إلاّ أن جمالها لم ينقص شيئاً ، بل أصبح أشد فتنة للقلوب وفتكاً بالنفوس وإثارة للأهواء ! . ومرة ثانية امتلأ رأسها بالأحلام العذبة وانطلق خيالها من قيوده وابتدأت تفكر في فتى الأحلام .

ولكن أباها الشرس القاسي قطع عليها السبيل مرة أخرى فقد كان يحب طفلها حبًّا شديداً ، ففرض عليها أن تظل أرملاً لترعاه فلا تنغص حياته بزواج جديد ! .

واستسلمت للأمر الواقع مرة أخرى ومضت بها السنون وهي تصارع غرائزها الملتهبة وتناضل عواطفها المشبوبة .

ولم يعزّها من حرمانها أنها قد أصبحت أمًّا وأن ابنها ينمو ويتقدم نحو الشباب بخطى حثيثة تمتلىء نفسه حيوية وتنفتح له أبواب الحياة باباً بعد باب .

لم يعزّها ذلك في شيء ولم يعوّضها مما قاسته من كبت وحرمان في صدر شبابها . وإنما أشعلت السنون حقدها ، وألهبت الأيام ضغينتها على تلك العقبات التي اعترضت

حياتها لحرمتها متعة الشباب ولذة الصبا . وأصبحت ثائرة متبرمة ساخطة وأضحت حياتها في نظرها شيئاً ضائعاً غير ذي قيمة. وأعمت الغريزة المشواء بصيرتها فلم تعد تفكر إلا في ذاتها ونفسها وفقدت شعورها بأمومتها التي كانت تكفي وحدها لأن تجعل من حياتها شيئاً ثميناً قيماً.

وفجأة ظهر في أفق حياتها رجل ! كان أبوها حينئذ قد مات وكانت تعيش بمفردها مع ولدها الذي أصبح في بدء دراسته الجامعية . وكان من الطبيعي أن يتردد على المنزل ذلك الفتى الرشيق القامة الصارم النظرة المكتمل الرجولة ليشارك ابنها في استذكاره .

كانت شخصيته ومظهره يطابقان الى حد كبير تلك الصورة التي رسمتها لفتاها وهي عذراء . وكأنما أرادت الاقدار أن تمعن في سخريتها فأرسلت إليها فتى الأحلام بعد فوات الأوان ! أرسلته إليها وهو في سن ولدها فكان مجيئه أضحوكة قاسية وسخرية لاذعة ، على أنها لم تيأس فان ذلك الحقد وتلك الضغينة اللذين التهبت بهما نفسها في حرمانها الطويل قد شحذا عزيمتها وأثارا ارادتها على أن تبيح لنفسها ما فاتها من الكثرة وما حرمته من المتعه !

ووجهت للفتى المسكين سهام فتنتها الخصبه ، وأنوثتها الكامنة الثائرة ووجد فيها الفتى امرأة تخطو نحو الأربعين قد نضجت انوثتها وأصبحت تبحث عمن يقتطفها قبل أن تذبل ويصيبها العطب والتلف .

ونشأت العلاقة الآثمة بين الفتى الغرير والمرأة اللعوب وصار يتردد على المنزل في غيبة الابن الغافل . وبينما لاثنان ماضيان في غيهما كانت الاقدار تدبر أمرهما في خفة وحذر حتى إذا أحكمت تدبيرها سددت ضربتها القاضية وإذا الابن يكتشف العلاقة الآثمة.

كانت في أوج لذتها ! لذة كبتت عشرين عاماً ثم انفجرت فاكتسحت في طريقها كل شعور بالمسئولية وإيمان بالقيم الأخلاقية . ولم تكن نظرتها الى ولدها في تلك اللحظة على أنه ابنها وفلذة كبدها وإنما شعرت أنه العقبة في سبيل تمتعها بحياتها هو رمز حياتها الضائعة وشبابها المتقدم . هو أداة عذبتها بها الأقدار وكبلت بها طبيعتها البشرية .

فلم تشعر بنفسها وهي تقذفه بذلك التمثال الرخامي الصلب ! وإنما شعرت به وهو يسقط على الأرض وقد فقد النطق الى الأبد !

وأفاقت من غشيتها . . . . فاذا عشيقها قد هرب وابنها قد مات وتراجعت غريزتها في استحياء وتخاذل وحل محلها شعورها بمسئوليتها كأم مجرمة ! وحينما أقبل عليها الجيران كانت تصرخ تارة وتغني وترقص تارة أخرى . . . . . لقد جنت !

في الشرق الاقصى

اندونيسيا الخضراء

للاستاذ احمد طه السنوسي

تعال معي نقف على تلك الربوة العالية لنشرف منها على تلك الجزائر الاندونيسية الزاهرة. صوّب نظرك نحو تلك المجموعة من الجزر وهي قابعة بين المحيطين: الهادي والهندي، تهتدي بهدي الأول وتكتسي ببدائع الثاني، وتفصل بين قارتي آسيا واستراليا.

... لقد أطلقت على هذه المجموعة من قديم الزمان (جزر الهند الشرقية)، كما أطلق عليها اسم أنسوليند Insulinde ويسميها البعض «ارخبيل الملايو».

وكلمة «أندونيسيا» تتركب من كلمتين: الاولى «أندو» ومعناها الهند، والثانية «نسيا» ونحواها الجزائر، فيكون المجموع الناتج «جزر الهند»، ولقد كان الغرض الأسمي من هذه التسمية، توحيد هـذه الجزائر وضمها تحت رمز ولواء واحد، يطبع بطابع خاص ويتميز بصفة واحدة.

ويرجع إطلاق هذا الاسم إلى عام ١٨٥٠، وقد اعترف به الأندونيسيون، وسرى في هتافاتهم ومناوراتهم سريان البرق بين ذوائب السحائب البيضاء.

أما العرب فيطلقون على هذا الأرخبيل الملايوى، كلمة «جاوة»؛ إذ أن جزيرة جاوة هي أهم شيء في أندونيسيا، التي ينحصر تاريخها وحضارتها في تلك الجزيرة تقريباً، وما عتم الحضارمة والسعوديون، يستعملون هـذا الاسم، ويدعون به جزر الهند

الشرقية ، ويرجع مصدر هـذه التسمية إلى القرن الأول الميلادي ، حيث وصلت تجارة جاوة إلى أوربا والبلاد العربية .

ولقد طغى إسم جاوه على أندونيسيا ، واستعمله كثيرون من كتّاب الضاد خلال العصور الوسطى ، كما انه لا يزال يغلب على بعض كتّاب الاسلام في العصر الحديث.

ومع أن العرب يعممون لفظ الجاوة على هذه الجزر كلها ، إلاّ أنهم يذكرون اسم كل منها ، كما فعل المسعودي وياقوت ؛ الأول في تاريخه ، والثاني في معجمه .

أما الهولنديون فقد أطلقوا على أندونيسيا منذ القديم اسم « الهند الهولندية » ، وقد أرادوا من هذه التسمية ، أن تكون اندونيسيا لهم وحدهم وكي يضمنوا تبعيتها لهم ، حتى كان يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٠ ، حين اعترفت حكومتهم باسم « اندونيسيا » . وكانت جاوة تعرف قديماً باسم « جاوة الكبرى » ؛ إذ دعيت جزيرة سومطرة باسم « جاوة الصغرى » ولعلنا ندرك ذلك الاسم ، حين نرى الرحّالة المغربي ابن بطوطة ، حيث زار مدينة سومطرة في جزيرة سومطرة ، فكتب عن سلطانها باسم « سلطان جاوة » .

ويقطن جزيرة جاوة حوالي خمسين مليون نسمة ، وباقي السكان يقطنون باقي الجزر ، وهي كثيرة نذكر منها سومطرة ، وبورنيو ، وسيليبس ، ولمبق ، وبالي ، وسمباوة ، وتيمر وينوجني ، وفلوزيس ، وسواها . وجاوة أكثر تلك الجزر عمراناً وأرقاها حضارة ، ففيها « بتافيا » وبها المعاهد العليا ، وتخترقها شبكة من الخطوط الحديدية وطرق السيارات الحديثة ، وبها الخط الحديدي ، الذي يصل « بتافيا » بمدينة « سرابايا » ، ذلك القطار السريع الذي يقطع في الساعة خمسة وأربعين كيلومتراً ، وهو منظم على أحدث شكل للقطارات في العالم ، كما يصل القطار الكهربائي بتافيا بمدينة « بوقور » ، التي قامت بها ثانية حديقة في العالم

ولا غرابة إذن أن صارت جاوة زعيمة تلك الجزر ، ومقرّاً للحكم ، وبؤرة للحياة الاقتصادية والاجتماعية ومركزاً للحركة العلمية والثقافية في أندونيسيا ؛ وذلك بفضل مناخها وتربتها ، إذ أن أرضها يغلب عليها الارتفاع كما أن أمطارها منتظمة وتربتها خصبة اكسبتها البراكين خصوبة وجمالاً فتعددت فيها أنواع المنتجات الزراعية ؛ إذ أن في المقذوفات البركانية ناراً تلهب التربة حماساً ، فتأبى الأرض إلاّ أن تخرج أطيب الثمرات . .

يقول الاستاذ محمد حمدي بك في كتابه « الجغرافيا التجارية الاقتصادية والجغرافيا

البشرية » : « ومن أحسن أنواع التربات الخصبة في العالم (التربة البركانية) وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخامدة ، وتتكوّن من بعض المصهورات أو الرماد الذي ينبعث من جوف البركان ، فتحمله الريح ، وتنشره على مساحات واسعة حول البركان ، فيكسبها الخصوبة الكثيرة ، ومن أمثلة هذه الأراضي الطيبة مزارع نابلي بايطاليا المشهورة بكرومها وأراضي جزر الهند الشرقية . ومن أمثلة الأراضي البركانية القديمة كثير من مقاطعات الولايات المتحدة مثل وشنجتون وأريغون » .

وتعتبر جزيرة سومطرة أطول جزائر اندونيسيا ، وهي تقع في الجهة الغربية منها ، وتوجد السهول في هذه الجزيرة في الجزء الشرقي منها ، وتليها بقرب من البحر كثير من المنافع والآجام ، أما الساحل الغربي فجبلي ، وفي وسط سومطرة توجد مرتفعات عالية منها جبال « سينا لاج » ، التي ترتفع شاهقة في الفضاء نحو ثلاثة آلاف متر تقريباً .

على أن جزيرة سومطرة ، لم تكن تدعى بهذا الاسم في الأزمنة القديمة ، ولكن هذا الاسم أي سومطرة محرّف من أصله ، وكان « سمودرا Semudra » ، أي المحيط باللغة المالبزية ، وقبل سمودرا وسومطرة كان يطلق على الجزيرة اسم « جزيرة أندالس » و « جزيرة فرتشا » و « جزيرة إماس » أي الذهب ... وتقع مدينة بداج Padang في الوسط الغربي لسومطرة ، وارتفاعها تحت خمسين ألف بوصة كما تقع مدينة بلمبنج Palembang في شرق سومطرة بعيدة عن الساحل قليلاً ، وتقدر تضاريسها من خمسين إلى مائة بوصة ، ويضاف الى تلك المدن المهمة ، مدينة ميدان ومدينة « كوتاراجا » ، ونحواها مدينة الملوك ، و « انجات » هي الجزء الشمالي من سومطرة ، وأهلها أناس خالصو القلب يرقون للمحافل . . . وتوجد في « سومطرة » قرى بديعة يشده المرء لمشاهدتها ، تعلو فيها الأشجار الأكواخ ، وتخفى الأكواخ فيها سيقان الشجر ، فيبدو منظر تلك البيوت الصغيرة بديعاً ، وقد صنعت أسقفها على شكل أرقام الثمانية ، وكثيراً ما تطلّ القرى على مياه ، فاذا الرواء يزداد روعة والمكان يزداد زهواً وجمالاً ، وليس به من صوت سوى صوت الطيور الملوّنة ، وقد وقفت رشيقة على منابر الشجر ، تحتضن « النارجيل » تريغ أن تتخذ منه نرجيلة لها ، ليصل دخانها الى قلبها الخفاق فتشقشق وتصفق طرباً . . .

ولكن الملاحظ أن جاوة قد فاقت سومطرة في نواح فنية كثيرة ، ولا غرابة في هذا ، إذ أن الفن الجميل في جاوة يزدهر ازدهاراً ، وقد برع المهندسون فيها في انشاء الكباري

البديعة ، فوق الوديان السحيقة ، فتنساب عليها القطارات الحثيثة انسياب السيل على ملساء الجبال الهائلة التي تخترقها الانفاق ، تلك التي تحتجن الانظار فتتهادى الأجفان من عجب ومن إعجاب .... كما لا ننسى أن نذكر أن جزيرة جاوة فوق كل ذلك مركز لتكور الأحداث السياسية والمظاهرات والثورات ، وعلى منابرها يصدح الزعماء والرؤساء ، وفيها يدوي صوت الحرية والحماس ، فترجع اصداؤها نبراته المذبة وترتطم خلجاته بمناكب الصدور وجوانب الوجدان .

والادارة في جزيرة جاوة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها : قسم جاوة الشرقية ، وعاصمتها « سورابايا » .

ثانيها : قسم جاوة الوسطى وعاصمتها « سامارانج » .

ثالثها : قسم جاوة الغربية وعاصمتها بتافيا « جاكارتا » .

واسم بتافيا هذا هو اسم هولندة منطوقاً باللغة اليونانية القديمة ، ويزيد من أهمية هـذه المدينـة أنها تقع على طريق مضيق صندا . ، كما انها تنافس « سنقافوره » ؛ إذ انها سوق كبيرة لتصريف البضائع بين الجزر ، ولجمع الغـلال والمحاصيل أيضاً ..

وهناك هـذا المعبد الكبير ، معبد (بورو بودور) الذي ما غتم قائماً إلى يومنا هـذا ، يناضل الأيام ، ويشرف على مدينة « ديوكيا كرتا » داخل جزيرة جاوه ، وهـذا المعبد من آثار الحضارة التي قامت في هـذه الجزيرة فيما بين القرن الخامس والتاسع بعد الميلاد ...

[للبحث تتمة]





عصابات الشفتا

في الحبشة

للأستاذ زاهر رياض

يطلق إسم الشفتا على قطاع الطرق في الحبشة وكانت في أول أمرها تطلق على قبائل الرياجالا الذين كانوا يحترفون هذه الحرفة ويعيشون في الأجزاء الشرقية والجنوبية الغربية من الحبشة ثم تعدتهم التسمية الى غيرهم ممن احترف هذا العمل . ولقد كانت الحبشة طوال عمرها مسرحاً لنشاط هؤلاء الشفتا ، وساعد على وجودهم ونشاطهم طبيعة البلاد الجبلية الوعرة التي تسهل عليهم قيامهم بعملهم وصعوبة المواصلات بين أجزاء الهضبة مما جعل تعقب رجال الحكومة لهم أمراً من الصعوبة بمكان ثم عدم وجود الحكومة المركزية التي تسيطر على جميع أجزاء البلاد ، وضعف الحكومات التى قامت في بعض الأوقات ، كما أن الأمراء قد استعانوا بالشفتا في كثير من الأحيان لايقاع الاضطراب في أنحاء البلاد والثورة ضد السلطة المركزية التي تحاول أن تفرض نفسها عليهم . فكان ذلك كله داعياً لأن يشتد ساعد هؤلاء اللصوص في بعض الأحيان فيكثروا من الاغارة على القرى والمدن يسلبون الفلاحين ما يملكون ويقتلون من يتعرض لهم منهم ويكفي حتى الآن أن تذكر اسم الشفتا لرجل الشارع في أديس أبابا أو أي مدينة حبشية أخرى لترى امارات الرعب والفزع قد ارتسمت على وجهه على أبشع صورة ، فكثيراً ما تعرضت التجارة الحبشية بين الساحل والداخل لهجمات هؤلاء الشفتا حتى كانت القوافل لا تسير إلا وأفرادها مدججون بالسلاح . ولقد اشتغل كثير من هؤلاء اللصوص بالاتجار في الرقيق فكان النخاسون يعتمدون عليهم في شراء كميات كبيرة من الرقيق خصوصاً النساء والرجال الذين كانوا يجدون في شبه الجزيرة العربية والدول العربية الأخرى التي قامت خلال القرون الوسطى من يقبل على شرائهم ويدفع فيهم أغلى الأثمان . فقد كانت النساء الحبشيات من أثمن أنواع الجواري أيام الدولتين الأموية والعباسية . وإلى وجود هؤلاء الشفتا وكثرة اغاراتهم على القرى يرجع بعض السبب في نشأة الحبشي وهو متقلد سلاحه أينما ذهب .

ولقد قويت الشفتا في فترات كثيرة من التاريخ الحبشي إلى درجة أقلقت بال

الحكومة حتى لقد جنّدت كل ما تستطيعه من قوة للقضاء عليهم . ففي أوائل القرن الرابع عشر استطاع حق الدين بن أحمد حرب أرعد حفيد علي سلطان ايفات أن يكوّن من هؤلاء الشفتا جيشاً استطاع أن يقاوم به الدولة زهاء عشر سنين حتى إذا مات ترأسهم أخوه سعد الدين أبو البركات ثم أولاده متعاقبين أكثر من خمس وثلاثين سنة تآزر في أثنائها الملوك الأحباش مع السلاطين المسلمين في ايفات على هؤلاء اللصوص وكسر شوكتهم رغم ما كان يربطهم بهؤلاء الآخرين من وحدة الدين . وفي القرن السادس عشر استطاع أبو بكر بن محمد أن يكوّن من الشفتا الصوماليين قوة يزعج بها الحكومة مدة تزيد على العشر سنوات حتى لقد وجّه الأمبراطور لبنادنجل لسحقهم قائده آبون فمات في أحد المعارك فخلفه أحمد بن ابرهيم الملقب بالاشول فعرف كيف يحطمهم ويقضي على قوتهم

ولقد كانت الفترة بين سنتي ١٨٠٠ و ١٨٥٥ عهداً ذهبياً لهؤلاء الشفتا حينما ضعفت الحكومة المركزية ضعفاً بيّناً وعجزت عن بسط نفوذها وانقسمت البلاد بين ثلاثة من الرؤوس الكبار وهم الرأس ووبى والرأس علي والرأس كاسا. وأخذ كل واحد منهم يستعين بهم للتغلب على الآخرين فتعرض الفلاحون والرعاة الأحباش أثناء هذه السنين الطويلة لأقسى أنواع السلب والنهب وفقدان الحياة فقد كانوا يرون مواشيهم تساق أمامهم ومحصولاتهم تنهب ولا يستطيعون المقاومة ولا تمر أيام معدودة يكفكفون فيها دموعهم حتى يغير عليهم الآخرون فلا يجدون ما ينهبونه فيستعيضون عن ذلك بصب جام غضبهم على السكان الآمنين بقتلهم على مرأى من نسائهم وأولادهم وأخيراً استطاع الراس كاسا أن يكتب لنفسه النصر فجلس على العرش باسم الأمبراطور تيودروس الثاني وعمل على التخلص منهم وتشتيتهم. ولم يكن الأجانب الذين عاشوا في الحبشة في هذا الوقت ورجالهم الدينيون أقل من الوطنيين رغبة في استغلال هؤلاء الشفتا لتنفيذ مآربهم التي ترمي إلى زعزعة الحكم الوطني حتى لقد استدعى الأمبراطور بطريرك الكاثوليك سنة ١٨٦٠ وأسمعه كلاماً قاسياً وطلب منه الكف عن التدخل في أمور وطنه وان يترك البلاد في الحال .

ويعود الفضل الأكبر في الضرب على أيدي هؤلاء الشفتا ومقاومتهم إلى الامبراطور منليك الثاني الذي ارتقى العرش في الأيام الأخيرة من القرن الماضي حتى مستهل القرن الحاضر، فهو أول من عمل على ايجاد قوة من البوليس داخل أديس ابابا لحماية الأمن وحراسة العاصمة من إغارات الشفتا المستمرة، إلا أن نشاطهم سرعان ما عاد إلى أشده في عهد الأمبراطور الشاب لدج ياسو حينما اضطرب حبل الأمن نتيجة لانصراف الأمبراطور عن السهر على

شؤون الدولة وإلتفاته إلى مباذله التي أقلقت كثيراً من رجال الدين وعقلاء الدولة .

وعندما تولى العرش جلالة الأمبراطور الحالي هيلاسلاسي الأول سنة ١٩٣١ دأب على السهر على تطهير البلاد من هؤلاء اللصوص وكثيراً ما استعان بقوة الجيش لمحاربتهم خصوصاً وقد أخذ الرؤوس الثائرون في استغلال الشفتا لحسابهم كما كان يفعل غيرهم في العصور الماضية ولم يتردد الأمبراطور عن قتل من يقع في يد الحكومة منهم على أعواد المشانق ليكونوا عبرة لغيرهم . ولكنه في نفس الوقت لم يكن يتردد في بعثهم من جديد بل تشجيعهم وتزويدهم بالسلاح حينما شعر أنه في احتياج إلى قوتهم وذلك أثناء الاحتلال الايطالي للبلاد (١٩٣٦ — ١٩٤١) فقد انضمت جماعات الثوار الوطنيين الذين دأبوا على مقاومة الاحتلال الايطالي إلى الشفتا ومدهم جلالة الأمبراطور وهو في منفاه بكل ما كان يستطيعه من مؤونة وسلاح وعملوا معاً على إشاعة الاضطراب في البلاد ليشغلوا أكبر قوة من الجيش الايطالي وكثيراً ما تعرضت قوافل السيارات التي كانت تنقل التجارة الايطالية بين ثغر مصوّع وأديس أبابا لاغاراتهم بعد أن ركز الايطاليون معظم تجاراتهم في هذه الطريق كما كانت منطقة جودجام الوعرة مسرحاً آخر لنشاطهم وكثيراً ما أغارت هذه العصابات على اديس ابابا نفسها واستطاعت في أوقات كثيرة أن تدخلها وتثير الرعب في قلوب سكانها من الايطاليين والوطنيين على السواء .

ولم يكن من اليسير على الحكومة الوطنية التي عادت الى البلاد بعد طرد الايطاليين أن تتخلص منهم أو تتغلب عليهم خصوصاً وقد بدأوا يوجهون نشاطهم ضد الانجليز الذين كانوا يحتلون البلاد مؤقتاً ظنا منهم أن هذه الاغارات ضد الرجل الأبيض لا بدّ وأن ترضى عنها الحكومة الوطنية وان تظاهرت بخلاف ذلك فدأبت الحكومة على تطهير البلاد وتخليصها من شرهم ولكن ذلك لم يكن يمنعهم من أن يتسلطوا فترة من الزمن على بعض أجزاء البلاد حتى تجد الحكومة نفسها مضطرة الى وقف سير التجارة في تلك الأنحاء وإلى الاستعانة بالجيش من جديد للحد من نشاطهم . وفي سنه ١٩٤٤ استطاع فريق منهم أن يدخل اديس ابابا تحت سمع الحكومة وبصرها ويهاجم داراً لتاجر أرمني ويقتله وزوجته ويسلبه ما خف وزنه وغلا ثمنه وأن يعود أفراده إلى مراكزهم سالمين ولكن عين الحكومة الساهرة لم تلبث أن قبضت على هذا الفريق وقدمته للمحاكمة فحكم عليه جميعاً بالاعدام وشهدت العاصمة جثثهم تتأرجح على أعواد المشانق في السوق العامة .

وها هي الأيام تدور دورتها من جديد ويتهم الحكومة الحبشية خصومها بأنها تساعد هؤلاء الشفتا وتمدهم بالمال والسلاح لبذر بذور الفوضى في ارتريا لمساعدتها على تنفيذ أغراضها السياسية فيها .

خشب البلزة



نوع جديد يعدُّ أخف خشب في العالم

للأستاذ عوض جندي

قرأت في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٥١ مقالاً مستفيضاً على (الغابات وكيف ننتفع بأشجارها) لحضرة زميلنا الصحفي الأستاذ جورج نيقولاوس. ولهذه المناسبة يرى كاتب هذه السطور أن يعرب عما خالجه من السرور، إذ حقق الله سبحانه وتعالى، رجاءه الذي سبق أن وجهه إلى المختصين بوزارة الزراعة المصرية، منذ أكثر من عشرين عاماً، قصد نشر زراعة خشب البلزة في وادي النيل للانتفاع بمزاياه الرائعة واليك ما ذكرته جرائدنا المحلية في ٤ أكتوبر الماضي تحت العنوان الآتي: —

تمهيد لوصف خشب البلزة

يدرس المختصون بوزارة الزراعة الآن برنامجاً جديداً بشأن التوسع في زراعة الأشجار الخشبية في مصر، لسد حاجة البلاد من خشبها، وادخال زراعة بعض أنواع الأشجار الخشبية التي لا تزرع في مصر، حتى يمكن بذلك رفع مستوى انتاج الخشب وصناعتها في البلاد. ومن الأنواع التي تنوي وزارة الزراعة ادخال زراعتها في مصر وإجراء تجارب فيها، للوقوف على التربة الصالحة لها. والعمل بعد ذلك على اكثارها، نوع يزرع في غابات أمريكا الوسطى والجنوبية، من جنوب المكسيك، إلى شمال بيرو. ويعرف هذا النوع باسم خشب «البلزة» Balsa ويعتبر هذا الخشب، أخف خشب في العالم. فالقدم المكعبة المجففة بالهواء منه، تزن عشرة أرطال، على حين أن القدم من الفلين

يزن ١٥ رطلاً . ويقول المختصون إن هـذا الخشب ، لعب دوراً مهمّاً في الحرب العالمية الأخيرة . فقد أدخل في صناعة هياكل الطائرات . وتصنع من هذا الخشب عوازل الحرارة وغيرها من الصناعات الفنية المهمة الدقيقة .

﴿ خشب البلصة أو البلزة (١) Balsa wood خفيف كالريش ﴾ هذا هو النطق الصحيح لهذا الاسم ، كما ورد في أحدث المراجع العلمية الانكليزية . ويكاد خشب البلزة يوجد في كل قطر من الأقطار الحارة المتاخمة لخط الاستواء وهو أحف خشب عرفه الانسان من قديم الزمان . غير أن الخشب الشائع الاستعمال الآن في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ، يستورد من اكوادور . وهي جمهورية صغيرة على الساحل الغربي من أمريكا الجنوبية . يشقها خط الاستواء وتتخللها أسوار جبال الأندة الشامخة .

وشجر البلصة ذو لحاء متوسط النعومة . وأوراقه عريضة كبيرة الحجم . ويتراوح ارتفاع شجرته بين سبعين قدماً وثمانين قدماً ويختلف قطر جذعها من ٣٠ عقدة أصبع « بوصة » إلى ٣٦ عقدة وثقل خشبها لا يعدو نصف ثقل الفلين ، إذ يتفاوت ثقل القدم المكعبة منه ، بين خمسة أرطال وسبعة أرطال .

ومن مزاياه ، أنك إذا فحصت قطعة منه بالجهاز « الميكروسكوب » رأيتها مؤلفة من عدة خلايا صغيرة تشبه خلايا قرص الشهد . وهذه مصدر خفته ، وطفوه على سطح الماء ، إذا ما ألقي فيه . وهي أيضاً سبب منعه الحرارة والكهربا ، واخفاته الأصوات الشديدة .

ومن غريب أمر هـذا الخشب ، أنه إذا جاوزت شجرته الحول الخامس من عمرها ، ثخنت جدرانها ، وزاد خشبها ثقلاً . ولذلك ترى زرّاعه لا يقطعونه لأجل الأعمال الفنية متى زاد عمره على خمسة أعوام . وقد بلغ من خفة خشب البلصة أن القدّة « الـكمرة » منه التي طولها ٢٠ قدماً وثخنها عشر عقد تزن ٧٥ رطلاً . بينما القدة التي في هذا الحجم من خشب الصنوبر مثلاً تزن نحو ٣٢٥ رطلاً . فاذا ألقيت قدة البلزة في الماء ، عامت فيه ، وتيسر أن تحمل ما يكاد يعادل وزنها عشر مرات . ومع تفوق خشب البلزة في الخفة على كل أصناف الخشب الطبيعي ، فان متانته محدودة . وهي لا تزيد على نصف متانة خشب التنوب (٢) الفضي الجيد النوع ، والبلصة سهل التكييف في الصناعة ليّـن إذ يقطعه سكين الخرطة ، كما تقطع المدية قطعة من الزبدة . وقوامه أشبه بقوام الصمغ المرن « الكاوتشوك » فيمكنك أن تقطع قطعة منه بأصبعيك بسهولة حتى توشك أن تتناقص إلى نصف جرمها الأصلي .

(١) راجع مقتطف ديسمبر ١٩٣١ (٢) شجر كالصنوبر

وإذا ما رجع الباحث، إلى صفحات التواريخ القديمة رأى رواد المكتشفين الاسبانيين يذكرون خشب البلزة فيما صنفوه من الاسفار الخاصة برحلاتهم. ومنهم الرحالة الربان بيزارو الذي شنّ الغارة على بلاد بيرو.

وحينما حط الأسبانيون رحالهم في أمريكا الجنوبية، شاهدوا أهاليها في كثير من آفاقها يستعملون أرماثاً [1] يطلقون عليها اسم بلزة. وكانوا يتخذونها دائماً من نوع واحد من الخشب اشتهر بين ظهرانيهم باسم «خشب الارماث» أو البلصة. وتجزل أشجاره في كل جزائر الهند الغربية، وفي جنوب بلاد المكسيك، وما يليها جنوباً من الأقاليم الممتدة على سواحل المحيطين الأطلنطي والهادي «ومما يؤيد هذا أننا إذا بحثنا عن معنى balsa في المعجم الانكليزي العربي؛ وجدناه «طوف أو رومس». وينمو البلزة نمواً حثيثاً جداً، فيربى طول شجرته، على خمس وستين قدماً، وذلك قبيل بلوغها العام الخامس من عمرها «كما سلف القول» وهو الزمن الكافي لصيرورتها أجود ما تكون، خشباً للمرافق التجارية. وتزرع هاتيك الأشجار في ضياع بعض الأقاليم ليجني منها خشب معلوم العمر، معروف المزايا. وخشب البلصة ذو لون أبيض، ضارب للصفرة والقرنفلية، نحلي اللمس، خفيف الوزن، لين إلى الدرجة القصوى، كثير المسام، ولهذه الأسباب جيمعها يتعذر تجفيفه.

ولحاء البلزة ذو ألياف يتسنى فتلها حبالاً. وثمره على هيئة القطن، شبيه بفراء الأرانب. فتحشى به الوسائد والنمارق [2]. ويدخل في مصنوعات شتى. ومنها أجزاء الطائرات الصغيرة التي يلهو بها الأحداث. وتبطن به جوانب الثلاجات ليحول دون تطرق الحرارة إلى بواطنها. وتحشى به الأطواف المستعملة للوقاية من الغرق. وتتخذ منه أيضاً تكآت صغيرة توضع في جوانب الصناديق التي تنقل فيها الأثاثات وقاية لها من التلف الذي تستهدف له عند نقلها من مكان إلى آخر. لأن البلزة لا يخدش أبداً سطوحها المصقولة بالصقال «الورنيش» صقلاً فائقاً.

ويدخل خشب البلزة في السفانة [3] كحشوات للجوانب الخشبية الكبيرة للبواخر، حيث تمس الحاجة إلى تخفيف ثقلها الى أدنى حد. وقد أستعمل هذا الخشب حديثاً لذلك القصد في الباخرة (مانهاتان) التابعة لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية. فأتيح نقص

---

(١) الرمث — خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر وجمعه أرماث. ويعرف عند أهل الريف باسم الرومس — وهو الطوف أيضا (٢) الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

(٣) صناعة السفن — ولا يسوغ القول «بناء السفن» كما يقول مؤلفو كتب الجغرافيا.

ثقلها ٠٠٠ ر ١٥٠ رطل ونيف . وذلك باتخاذ حشوات حواجز حجراتها بأسرها ، من خشب البلزة . كما يستعمل في الطائرات لتخفيف وزنها .

وكرّت الأيام والسنون والقرون ، وما كان الجنس الأبيض ليحفل بخشب البلزة على حين كان الهنود يستعملونه في مختلف الشئون . حتى حلت سنة ١٩١١ إذ ذهب الربان لندن Lundin وهو ملاح أمريكي ، الى أمريكا الوسطى . وذلك في رحلة بحرية فأرسى سفينته في خليج صغير ، بعيد عن الطرق التجارية المألوفة ، أي في مكان قلما تطرقه البواخر . ولم يؤمه أحد من السياح قبله . وكان للربان لندن ابنة رافقته في تلك السياحة البحرية . وسرعان ما أبصر الهنود الوطنيون تلك الفتاة البيضاء ، حتى احتفوا بمقدمها . وأقاموا لأجلها حفلة شائقة ، رقص فيها الراقصون ، وقام الشجعان فيها بألعاب الفروسية . وحدث قبيل انتهاء تلك الحفلة أن أبصر الربان ، زعيماً من زعماء الهنود يحمل شجرة بأجمعها على ظهره ، فكانت أول شجرة بلزة رآها الكابتن لندن في حياته مقطوعة من مغرسها . فأدرك كثرة الأعمال التي يمكن ادخال ذلك الخشب العجيب فيها . فأخذ يجمع منها شحنة لباخرته . وبهذه الوسيلة تيسر نقل خشب البلزة ، أول مرة الى بلاد الولايات المتحدة . وما أن عاد الربان لندن إلى وطنه ، حتى ألف شركة لصنع الأشياء من ذلك الخشب ، الذي أعاد اكتشافه من جديد . ولما كان لندن ملاحاً ، يميل بطبيعته الى الأشياء التي تخص مهنته ، مثل أطواق النجاة والأدوات الواقية من الغرق ، كالحزم العوامة ، شاعت تلك المصنوعات شيوعاً محدوداً في بدء أمرها ، لفداحة أسعار خشب البلزة اللازم لصنعها . إذ كان اللوح الذي مساحته ألف قدم يباع بمبلغ ٢٥٠ دولاراً .

ولما حمي وطيس الحرب العالمية الأولى ، وتفاقمت خطوبها ، اتسع نطاق استعمال خشب البلزة اتساعاً عاجلاً إذ أصبح ذلك الخشب الذي يعادل الريش في خفته ، من ضروريات القتال وعدته . فاستنفدت منه مقادير كبيرة ، على غلاء أثمانها . وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد شرعت في إرسال جنودها الى فرنسا ، في سفن نقالة ضخمة . فاستغنى رجالها عن الزوارق المألوفة للنجاة من الغرق . وذلك باستعمال أطواف من خشب البلزة . وكان الفراغ الذي يشغله زورق واحد منها ، في إحدى النقالات « المراكب المعدة لنقل الجنود ولوازمهم » كافياً ليسع طوفاً من خشب البلزة يقل ٤٥٠ جندياً . بينما الزورق المألوف يحمل ما لا يزيد على ٤٠ رجلاً . وما عتم أن ألف معظم الجنود الأمريكية ، رؤية جنود الحلفاء ، يسير بعضهم ، في أثر بعض ، في غياض فرنسا وفلندرز ، في سكون الليل ، وتتبعهم البغال والخيول والرجال ، والعربات التي تقل المؤن إلى الجنود ، تترى في

خنادقهم . وكانت مهمة تموين الجنود في خطوط القتال الأمامية ، من الضروريات الشاقة . تخففها خشب البلزة إذ كانت تصنع منه ، صناديق محكمة الاغلاق ، لصيانة المؤن السريعة التعفن ، عند نقلها إلى ساحات القتال . حيث يمكن اسقاطها في البرك التي كانت تتخلف من حفر القنابل . فكان لا يلحق مشتملاتها أي تلف . وكانت خفتها تهون نقلها إلى أي مكان . وكان المشاهد إذا انتقل إلى البحر الشمالي ، في خلال الحرب العالمية الأولى ، يرى بواخر غريبة الأشكال تظهر وتختفي في الليل البهيم كأنها مسحورة . وكان يخيل إليه أن ظهورها كحظائر صغيرة لمركبات السكك الحديدية ، محملة قضباناً تؤلف سكة حديدية ضيقة تموج بالملاحين ، الذين يدفعون عليها عربات يدوية صغيرة محملة بالكرى المعدنية الكبيرة وكانت تلك الكرى تدحرج إلى منافذ كبيرة في مؤخرات البواخر . حيث تلقى في اليم ، مرة كل بضع ثوان . وكانت هاته البواخر الغريبة الأشكال ، هي باذرات الألغام البحرية .

ولخشب البلزة في تلك السفن منفعة خطيرة . هي استعماله بدلاً من الفلين . ولما كان الجهاز الذي يستخدم في تفجير الألغام البحرية غالي الثمن ، وجب أن يعني الضباط البحريون بتخليصه من الغرق ، متى تمَّ إطلاق اللغم في البحر . وكانوا قبلاً يتوسلون إلى بغيتهم هـذه ، بعوامات من الفلين . فلم تنفع لأنها كانت تتلف من الانفجار . فتبين لهم بالاختبار أن خشب البلزة هو المـادة الوحيدة التي تصلح لابقاء جهاز التفجير عائماً ، ريثما يتسنى انتشاله . ولذلك كان هـذا الخشب يستورد من أدغال خط الاستواء ، الى المناطق الشمالية الباردة « حيث كان عزرائيل يسيطر بجبروته على البر والبحر » .

ولما ألقت الحرب أوزارها ، وعقدت الهدنة ، وأخذت الجنود المسرحة تبحث عن وسائل للاسترزاق ، شرع المخترعون أيضاً في البحث عن سبل جديدة للانتفاع بالمواد الحربية في أزمنه السلام . فكان خشب البلزة من المواد التي أحرزت منزلة أسمى مما نالتها قبل الحرب . وذلك أن الطائرات جعلت تنقل الركاب من اقليم الى آخر . وحدث التنافس بين مصانعها . فأفضى بها إلى تزويد طائراتها بكل وسيلة من وسائل الراحة التي يبغيها ركابها ، فأصبحت للخشب المشار إليه ، أرفع مكانة في صنع بعض لوازم الطائرات . وذلك لخفته المنقطعة النظير .

وغدا صانعو الطائرات يتخذون من خشب البلزة ألواحاً لتغطية جوانب الطائرات من الداخل ، ولعمل الحواجز بين الغرف وبعضها . ولصنع الأثاث اللازم لها . ويستعمل خشب البلزة في البواخر الكبرى ، في المواضع التي يستغنى فيها عن المعادن . كما يدخل في صنع الطائرات ، لتقويتها واعداد معدات الراحة لركابها . وقد أدخله المهندسون الذين

صنعوا المنطاد الانكليزي المسير رقم ١٠١ و وذلك في عمل الدرابزين وتخشيب الجوانب وصنع الأثاث والسطوح والحواجز . ولما اتسع نطاق استعمال هـذا الخشب ، انخفض سعره . فاشتد الطلب عليه . واتخذه المهندسون البحريون لتخشيب جوانب اليخوت السريعة الخفيفة . وتذرع به المهندسون المعماريون والميكانيكيون في مصانع الحرير ، الى إزالة الارتجاج الذي ينجم عن دوران الآلات الثقيلة . كما يدخله صناع الصور المتحركة الناطقة ، في صنع الخيم التي لا يخترقها الصوت ، التي يستخدمونها في أعمالهم . وبه يستعين مهندسو الراديو ، على ذلك القصد ، في حجرات الاذاعة .

وصنّاع الأثاثات يصنعون منه صناديق لوقايتها ، حين نقلها في البواخر . ولما كان سطح خشب البلزة ناعماً كالحرير ، فهو لا يخدش الأثاثات مهما تكن صقيلة . ولا يشوه الخزائن « دواليب الثياب » وهو يكاد يكون ليناً كالكاوتشوك . ولذلك يقي التراكيب الميكانيكية الدقيقة ، من الصدمات والاهتزازات التي تستهدف لها في أثناء نقلها في أقفاصها . ولذلك ترى التجار يضعون قطعاً من خشب البلزة ، في صناديق نقل البضائع ، حيث تكون مثل وسائد بين جوانب الأقفاص ومحتوياتها ، لتستند إليها ، وقاية لها من التلف . وفي أمريكا تصنع جميع أدوات الانقاذ من الغرق ، من هـذا الخشب . وكذلك تصنع منه الكرى التي يتقاذفها السباحون في المصايف البحرية . ويستعمل أيضاً في صنع العربات التي تنقل المثلجات من مكان إلى آخر لكي تكون خفيفة الحركة .

والخشب البلصة منفعتان ، هما — أولاً — استعماله كمادة من مواد البناء . وثانياً — اتخاذه ، مادة لمنع الحرارة . وسبب ذلك تجوفه تجوفاً — يجعله مزدوج الجدران ، بحيث يمنع الحرارة . ومع ذلك فهو متين متانة تجعله صالحاً لصنع أجسام سيارات النقل . ولشدة الطلب عليه لم يعد يباع ويشترى مساومة . إذ أسست لاستيراده شركة أمريكية تملك مزارع واسعة له في بلاد اكوادور ، حيث تزرع الأشجار التي تسد مطالب الشركة نفسها . ومتى قطعت أشجاره ، تشحن بها البواخر . وترسل الى مصنع خاص في بروكلين . وحينئذ تكون تلك الأشجار مملوءة بكائنات حيوانية دقيقة لا تحصى . تكمن في جوفها الفارغ ، وذلك من مغارسها . ولما كانت تلك الكائنات تفسد الخشب لامحالة ، اذا تركت وشأنها ، فإنها تقتل بمعالجة الخشب عينه بالحرارة في أتون خاص ، قبل استعمال الخشب في الصناعات المختلفة . وشظايا خشب البلزة ونشارته التي تنتج من صنع الأشياء المختلفة تحزم ثم ترسل إلى مصنع كبير من مصانع البارود . حيث تدخل في تركيب الديناميت الذي يستعمل في شق الطرق العامة وحفر أسس المباني .

النمل الابيض

للاستاذ إميل مراد

ينتشر النمل الأبيض في موطني افريقيا الجنوبية بقدر انتشار النمل العادي في أوربا . فهذه الحشرات التي لا يتجاوز طول الواحدة منها بضعة ملليمترات تقيم مستعمراتها في شكل أبراج يتراوح ارتفاعها بين ثمانيـة وعشرة أمتار وتحفر في باطن الأرض سراديب على عمق ٢٠ متراً أو أكثر . وقدرت وزن الأتربة التي نقلها هـذا النمل لاقامة احدى مستعمراته الضخمة في وادي ليمبوبو بما يبلغ ١١٧٥٠ طناً ، فان أعمال تمهيد أرض مطار بولا وابو استلزمت نقل ٢٠٠٠٠ طن من ركام هـذا النمل . فكل مستعمرة من هـذه المستعمرات والتي هي في الواقع جماعات من آلاف الملايين من الحشرات ، هي بمثابة حيوان واحد لم تتحد أعضاؤه بعد كما هو الحال في الجسم البشري . فبعض هـذا النمل يقوم بوظيفـة الفم والجهاز الهضمي (العمال) وبعضه يؤدي وظيفة السلاح الدفاعي (الجنود) وبعضه الآخر من النوع الطيار يؤدي وظيفة التناسل وهي الجماعة التي سينتخب من أعضائها الملوك والملكات .

ومما استرعى انتباهي دائماً أن صيادي النمـل الأبيض لا يهتمون بمستعمراته بل يقصرون جهودهم على صيد الملكة اذ ما دامت الملكة في أمان فان المستعمرة تنشأ من جديد أما اذا أسرت فيموت اتباعها . فلماذا اذاً تنتهي حيـاة النمل الأبيض الجماعية بموت الملكة ؟ انه كما هو الحـال في جماعات الحشرات الأخرى والطيور فان طيران التزواج بين الذكر والأنثى يعد نقطة البدء في انشاء قرية النمـل الأبيض ، فان هـذا الطيران يسبق التزواج ويثير عملية التناسل . فما دام الذكر والأنثى لم يطيرا بعد لا يستجيب أحدهما للآخر استجابة جنسية طيلة شهور بل قد يمتد ذلك الى عدة سنين من حياتهما تحت الأرض ، ومع ذلك يكفي أن يطيرا بضعة سنتمترات كي يتزاوجا ثم تبطل وظيفة الجناحين . وكانت هذه الحشرات فيما مضى باستمرار فأصبحت اليوم وليس إلا الملوك منها والملكات

أجنحة تستعملهما للطيران بضع دقائق بل أحياناً بضع ثوان في حياتها كلها على أن تستقر بعد ذلك على الأرض . ثم بحركة سريعة ينفصل الذكر والأنثى بأرجلهما الأمامية جناحيهما اللذين ينزلقان على ما يشبه المفصل وذلك بدون أن يصابا بأذى ، وإذا أصبحا هكذا عاريين ومقضياً عليهما بأن يعيشا تحت الأرض يكونان معدين للتزواج .

بعد أن تتخلص الأنثى من جناحيها تأخذ في البحث عن مكان ملائم حيث ترفع ثلاثة ارباع جسمها الخلفي بارتكازها على أرجلها الخلفية وتظل على هذا الوضع ، فلا يلبث أن يلبي أحد الذكور هذا النداء . يأتي الذكر ينقب على بعد بضعة أمتار من الأنثى المستقرة في مكانها بين الحشائش ، وبغريزته التي لا تخطيء ينتهي به الأمر إلى العثور على تلك التي وجهت إليه النداء وهو في الهواء ، فيلامسها بملامسيه (قرون الاستشعار) فتسري فيها قشعريرة عنيفة وبذلك ينتهي الأمر .

ملك وملكة وملايين من الأتباع

ولكن حذار من التقليل من خطورة هـذا التزواج الذي شاهدناه ، فان هذا الذكر وهـذه الأنثى يحكمان بوصفهما ملكاً وملكة لملايين من العمال والجنود الذين تزخر بهم مستعمرة النمل . إن حجم كل منهما يكبر عشرين مرة عن حجم العمال والجنود ويحملان على جناحيهما الزائلين اللذين حبتهما الطبيعة بهما دون سواهما آمال هذه المجموعة ومستقبلها فمنهما تتولد جموع هذه القرية .

وعندئذ يدخل مثل هـذا التزواج في أعمال الدولة ، فانه من بين آلاف هذا النمل ينطلق المزوّدون بجناحين في « طيران العرس » خارجاً من فتحة يحدثها النمل في جدران برج المستعمرة الذي غالباً ما يكون محكم الاقفال ، ثم يتسارع حولها الشعب كله من عمال وجنود لحمايتها من هجمات الأعداء اذ أنها تمضي أعمارها تحت الأرض فتجتنبه ضوء النهار الذي تتأثر به خلاله سمك ٧٥ سم على الرغم من تجردها عن كل جاسوسة بصرية ، وبعد ذلك تندفع الآلاف من الحشرات بغريزة خفية نحو مواقع هـذه المشاهد التزاوجية . وعلى الرغم من أن الملك والملكة لا يملكان أية وسيلة للدفاع عن نفسيهما ضد عالم الحيوانات والقرود والبوم والقطط الوحشية التي تسعى لالتهام مثل هـذا النمـل ، فان الزوجين الملكيين يتخليان عن جناحيهما اللذين هما وسيلتهما الوحيدة للدفاع العادي ، لذلك فلا مناص لهما من الالتجاء الى باطن الأرض .

تسمى الأفاعي والضفادع والسحالي وغيرها من الزواحف حتي السلحفاة والجمارين وذات الأربع والأربعين والعناكب والعقارب تسمى كلها خلال الأعشاب فتفتك فتكا ذريعاً بمثل هذه الأزواج الملكية فلا ينجو منها إلا زوجان أو ثلاثة تمنح الحياة لقرى جديدة .

بعد أن يتم تلقيح الأنثى تقوم فتغتسل ثم تحفر بمساعدة الذكر قنوات عمودية في اتجاه طبقة أرضية رطبة ويحدثان من وقت لآخر في هـذه القنوات تجوات ينشئان فيها حقلهما الأول وهو عبارة عن أكداس من بقايا حيوانية وخلايا وأتربة يجهزانها ويرويانها ويبذران فيها بكل عناية ويسمّدانها بقطع خشبية جافة وأعشاب ممضوغة مضغاً جيداً ومهضومة هضماً جزئيـاً ويرويان هذا الحقل بقطرات صغيرة مستمدة من رطوبة جسميهما الذي يدخل الماء في تكوينه بنسبة ٩٠ ٪ وفي أثناء طيرانهما الأول يكون الملك والملكة قد أحضرا بذيرات من الطحلب تتكاثر في شكل عفر أبيض في هذا الوسط المشبع بالماء المحجوب عن ضوء النهار بصفة مطلقة فترفع درجة حرارة الحقل بمقدار ٤ أو ٦ درجات . وفي هذا الحاضن المثالي تضع الأنثى ، التي هي في طريقها لتصبح ملكة بويضاتها ، فتزيد مشاغلها وتشنجاتها . وبعد فترة تظهر اليرقات فتخطر الملكة بين ابنائها هؤلاء الذين سيصبحون اتباعها . ويرى الناظر على ضوء شماع يمكن عكسه على هذه المستعمرة الناشئة ، دون أن يصيبها بأذى في هذا الطور من تكوينها ، يرى بريقاً بين فك الملكة الأسفل هو قطرات من أفرازها تغذى به على التتابع كل واحدة من هذه اليرقات .

تنتهي عند هـذا الحد وظيفة الملكة كحاضنة ، فاذا نمت اليرقات تقوم هي بأعمال المستعمرة كلها . وعندما تكون المستعمرة في هذا الطور يكفي احداث شق صغير في برج المستعمرة ليتبين للناظر بصورة قوية تقسيم العمل بين العمال والجنود . إنها هي أول من يحضر الى مكان الشق مزوّدة بقرونها الماصة وتقذف في اتجاه مكان الخطر قطرة من سائل شفاف لزج يشل أفكاك الحشرات المهاجمة وأرجلها .

وإذا لم يصحب هذا الانذار بالخطر هجوم ، تدق الجنود اشارة الخطر وذلك باحداث أصوات متقطعة (تك تك تك) ، أما العمال فانها تترك أعمالها وتسرع الى الشق حاملة بفكيها الأسفل ذرات من التراب تغلفها بافرازها اللزج وتلصقها على جوانب الشق كما لو كانت حبة خرسانية . ويبدو هذا المشهد كالذي نراه تحت عدسة الميكروسكوب لكريات الدم وهي آتية لتلئم موضعاً مصاباً .

هذا ويأخذ حجم الملكة في ازدياد ساعة بعد ساعة ، ويختفي جسدها الرشيق تحت طبقات دهنية متتابعة فتصبح ككيس دهني بحجم دودة بيضاء كبيرة . أما رفيقها الملك

فيبقى محتفظاً برونقه فتيّاً نشطاً كما كان أثناء طيرانه التزاوجي ، ويخيّل أن تعلقه بالملكة انما ينمو نمواً مطرداً مع نمو حجمها . ولو حدث أن تعرضت حجرة قصرها الملكي لأي خطر ، فان الذكر يسرع الى كل مكان مضطرباً ثم يعود دائماً إلى جوار الملكة ويتعلق بجسدها محاولاً حمايتها ويموت بقربها اذا كان هذا هو مصير الملايين من أولاده .

إلا أن هـذه النهاية المشئومة قلما تحدث اذ لا يمكن إلاّ للانسان فقط أن يهاجم المستعمرة وهي في هـذا الدور من التطور . وفي الواقع يكون أوائل النمل العامل وقد بدأت في تشييد قصر لملكتها وهيأت لها حجرة مقباة على عمق متر أو مترين تحت الأرض يصير توسيعها على مر السنين ، وتتكون من الأتربة التي ينقلها العمال الى سطح الأرض طبقة سميكة حافظة تتماسك بالسائل الذي تفرزه . ثم يزداد حجم الملكة حتى تصبح عاجزة عن الحركة كقطعة خشبية فيما عدا رأسها الصغير الذي يبدو عليه فقط دلائل الحياة ولا يطرأ عليه أي تغير . وتتحول أعصاب جسدها الى قطعة جيلاتينية لدرجة أن ما كان يسمى مركز الجهاز العصبي المركب لا يمكنه أن يوجه أي جزء من جسمها يقع خلف الرأس .

ولا تنفك الملكة في وضع بويضاتها بدون كلل بمعدل عدة آلاف في الساعة . فتقوم مئات من ملايين الجنود بالمحافظة عليها ، وعشرات من الملايين تقوم بتغذيتها ونقل بويضاتهـا حيث تتعهدها بعنايتهـا وتكدس كميـات من الزاد الاحتياطي وتدفع قمة المستعمرة الى ارتفاع بضعة أمتار وتحفر سراديبها الأرضية الى عمق عشرات الأمتار. فالعمال تعمل بلا انقطاع ليلاً ونهاراً منجزة بغريزتها أعمالاً هندسية رائعـة من كبار وقناطر .

هل نستنتج مما تقدم أن روعة هـذه المنظمة التعاونية تؤمن حيـاة مستعمرة النمل بصفة قاطعة . إن هناك عدواً أخطر من أي كان في العالم باستثناء الانسان هو الجفاف . يدخل الماء في تكوين جسم النملة بنسبة ٩٠ ٪ لا بل أن جو مستعمرة النمل مشبع بالرطوبة في شهور الجفاف وقد بقيت سنوات عديدة أتساءل كيف يحصل هـذا النمل الأبيض على هذه الكمية الكبيرة نسبيـاً من المـاء التي بدونها لا تقوم له حياة ؟

وفي ذات يوم حار بينما كنت أستطلع أحوال المستعمرات النملية الضخمة في تلال ريتفونتزتن ، أشار علينا ساحر من سحرة هـذه المنطقة أن نحفر بئراً في موقع كتلة عشبية خضرة ، وعلى عمق ١٢ متراً عثرنا على سرداب يجتازه النمـل الأبيض وينتهي عند طبقة مائية مؤدياً الى مستعمرة على بعد تسعة أمتار من البئر التي حفرناها . فكشفنا هذا السرداب كما كشفنا جزءاً من المزارع الملاصقة للحجرة الملكية ، فلاحظنا طيارين من

العمال الطيار الأيمن كان يصعد السرداب والطيار الأيسر يهبطه بمحاذاة قناة رأسية تؤدي الى أسفل المزرعة . كانت العمال كلها تحمل بذيرات من الطحلب لبذرها ، وكان النمل يسير في خط طويل بين الواحدة والأخرى ٥ سنتيمترات تقريباً ، فلونت بعضها بالانلين وبذا حسبت أن المدة اللازمة للنملة كي تصل الى قاع السرداب وتعود بحملها هي ٣٠ دقيقة . ولما كان النمل يحتفظ بسرعة عادية قدرها متران في الدقيقة ، استنتجت انه يخترق طبقات الأرض حتى عمق ٣٠ متراً .

وهذا النمل الأبيض الذي لا يقوى على شيء وهو منفرد ، يمكنه متجمعاً عمل كل شيء ، فليس له عيون ولا آذان ولكن حاسة الاستشعار لديه تفوق حاستنا مليون مرة . وتبدو ناطحات السحاب والانفاق التي ينشئها الانسان بعمارتها نسبيًا بأبراج مستعمرات النمل وسراديبها كأنها ألعاب أطفال . ويتأثر هذا النمل بالقوة المغناطيسية فهو يحفر سراديبه حفراً عموديًا في اتجاه محور القطبين . من أين لهذا النمل هذه الغريزة الخارقة ؟ هل هو يستمدها من الملكة الثابتة في حجرتها كالدماغ في الجمجمة فيها الحياة والروح الجماعية فلا تؤدي الوظيفة التناسلية فحسب بل تقوم بوظيفة العقل للمستعمرة كلها ؟

عشر سنوات في مراقبة ملكة النمل الأبيض

توصلت الى حقيقة هذا النمل بعد وقت طويل ولكن كان ينقصني رؤية ملكة حية ، غير أن شدة حساسيتها لكل طارىء داخلي ولدت في نفسي اليأس من الوصول الى مبتغاي . وبعد عشر سنوات من محاولات فاشلة في مناطق كثيفة الزرع لقيت جزاء جهودي أثناء حملة ضد النمل الأبيض نظمتها سلطات بريتوريا في منزل آيل للسقوط . وبعد أن فحصت فحصاً دقيقاً مسلك النمل الفردي وتوزيع السراديب توصلت لأن أحدد بصفة قاطعة موقع الحجرة الملكية . وكانت هذه الحجرة لحسن الحظ في ركن غائر في أظلم مكان من احدى غرف المنزل . ونجحت في قطع جزء من هذه الجمجمة (الحجرة) فتكشف لناظري أعجب مشهد قيض لي رؤيته هو مشهد الدفاع الحي لمستعمرة النمل .

كانت الملكة محصورة بين جدران قصرها ، كبيرة الجسم ممددة من الشرق الى الغرب ورأسها في الاتجاه الغربي . أما الملك الذي لم يتجاوز جسمه الحجم العادي للنملة الطائرة فكان جالساً باستمرار على جسم الملكة الضخم . ويوجد في مؤخرة الحجرة الملكية فتحة ضيقه يدخل ويخرج منها باستمرار نمل عمالي صغير في صفين يقوم بعضه بتغذية الملكة إذ يمر أمام رأسها حيث يرتفع ليصل الى فمها ، وبعضه مكلف بنقل بويضاتها والعناية به

بمعدل عدة آلاف في الساعة الواحدة ، حقاً كان يؤدي عملاً مرهقاً، ويبدو البعض الآن انه مهتم بنظافة جسم الملكة فأسميته بالمدلكين . ربما كان هذا البعض الأخير مكلفاً بوظيفة خاصة لتغذية اليرقات لأنه كان يستخلص من جلد الملكة بدون أن يؤذيه افرازاً ابيضاً ينقله معه .

غير انه مما استرعى انتباهي بصفة خاصة صف من الجنود من النوع الكبير يتناوب بانتظام محاصرة الحجرة الملكية ، وكانت تقف على ارجلها في الجزء الخلفي من قصر الملكة . أما في الجزء المقابل فكانت تتدلى من السقف ورأسها الى أسفل . وكانت الرؤوس كلها متجهة نحو القطب المغناطيسي الشمالي وكان هـذا الحرس عادة لا يتحرك . ومن وقت لآخر تقوم احداها بحركة غريبة بأن تؤرجح رأسها والجزء الأعلى من جسدها . وبعد قليل تبدأ أجارتها اليمنى بالتحرك ثم لا تلبث هـذه الرقصة الطريفة تنتقل من نملة لأخرى حتى تعود الى نقطة بدايتها . وكان هـذا الحرس يتغير في فترات ثابتة فيأتي الحرس الجديد ويقف في حلقة داخل حلقة الحرس الأول ثم يوسع دائرته الى أن يتداخل في الحرس القديم الذي تنسحب الواحدة منه أثر الأخرى .

ما عسى أن تكون وظيفـة هؤلاء الجنود؟ انهـا تبدو فاقدة الوعي كالمخـدرة بالكلوروفورم . وكنت أتمكن من لمسها باصبعي بدون أن تحاول عضي أو لسعي كما يفعل كل جندي من النوع نفسه في سائر أنحاء مستعمرة النمـل ، فجزمت انها في الغالب تقوم بوظيفة تماثل وظيفة نخاعنا الشوكي بنقل أوامر الدماغ الى الجهاز العصبي .

هذا وقد وقع حادث أكد لي صدق نظريتي ، فقد سقطت قطعة من الفخار من سقف الحجرة أصابت الملكة اصابة قوية ، فأخذت هذه تهز رأسها يمنة ويسرة بحركة ايقاعية . ولكن الحال التي كانت حولها انقطعت عن كل عمل وأخذت تطوف بالحجرة . أما دائرة الحرس فقد انفرط عقدها بسرعة واختفى أغلبه في الفتحات . ثم ما لبث أن غزا القصر جمع من النمل العامل الصغير واندفع نحو الملكة يمتص السائل الذي يفرزه جلدها كما يفعل المدلكون في الأحوال العادية واشترك الملك بشراهة في عملية تجفيف رفيقته ولم يمض بضع دقائق حتى كان جلد الملكة يتدلى متدهلاً .

ومع ذلك فقد توقف العمل بالتدريج في سائر أنحـاء القرية حتى أقصاها وأخذ الجنود والعمال تتجمع فقد ترددت اصابة الملكة على بعد عشرات الأمتار ، ثم ما لبث أن توقف تذبذب رأس الملكة فانقطع العمال المخربون عن مهاجمة الملـكة وعاد الحراس الى مراكزهم واستعادت الملكة حجمها العـادي بتغذيتها فوق الحد . ثم استتب النظام بعد بضع ساعات في أنحاء مملكة الملكة الوالدة .

مترجمة بتصرف من مجلة Constellation الفرنسية

الأمراض العقلية وعلاجها

على أساس انها أمراض عضوية

أدّت الدراسات التي أجريت على المخ البشري إلى كشف طرق جديدة لمعالجة أمراض المخ بوصفها أمراضاً عضوية لا أمراضاً تتعلق بوظيفة المخ. وقد استبدلت العملية التي كانت تجرى على الفص الأمامي للمخ وهي من أقدم العمليات الجراحية في المخ بعملية أخرى حديثة تستأصل فيها الأجزاء التي تحد من ازدياد القلق، أو الذهول أو اليأس أو آية إصابة نفسية دون التأثير على شخصية المريض.

وقد بنيت هذه العملية الجديدة على المعرفة التامة بتركيب المخ. وقد أظهرت البحوث والدراسات التي قامت بها جماعة مؤلفة من مائة عالم أمريكي، واستغرقت خمس سنوات، أن بعض الأمراض العقلية تنشأ من إصابة بعض أجزاء المخ، وانه يمكن شفاء هذه الأمراض عن طريق استئصال الجزء المصاب. وقاد هذا الكشف الجديد إلى ازدياد الأمل في معالجة الأمراض العقلية ولا سيما أمراض فقدان الشخصية.

وتصيب أمراض فقدان الشخصية الافراد في سن كبيرة أو في أوائل سن البلوغ، ويصبح المصابون بهذا المرض في حالة يأس تؤدي بهم لأن يصيروا خطراً كبيراً. وكانت مثل هذه الحالات ميئوساً منها إلى وقت قريب، وأمكن اصابة بعض النجاح في علاج هذه الحالة بوساطة تعريض المريض لهزة كهربائية، ولكن لم يعرف سبب المرض ولا منشأه، وكان يظهر بالتشريح ان حالة المخ طبيعية.

وبوساطة الطريقة الجديدة وباستخدام الأشعة السينية والخلايا الفوتغرافية الكهربائية

أمكن دراسة حركة سريان الدم في المخ وقياسها . وكانت النتيجة الأولى التي أمكن التوصل إليها في حالة فقدان الشخصية ، أن المخ يحتاج إلى كمية من الأكسوجين للتفكير المضطرب تعادل نفس الكمية التي يحتاجها للتفكير المنظم . وتوصل الدكتوران وينكلمان وهارولد بوك من نورستون في ولاية بنسلفانيا بعد دراسة المخ المصاب بحالة فقدان الشخصية ، تحت الميكروسكوب إلى أن هناك تغييراً معيناً يطرأ على المخ المصاب . ووجد أن الآفاً من خلايا المخ يبدو انها قد ماتت بعد بلوغها تمام التكوين ، وعلى ذلك افترض الطبيبان أن بعض خلايا الأعصاب الموجودة في الفص الأمامي من المخ تطرأ عليها حالة الانقراض . ودل هذا الكشف على أن هذا المرض مرض عضوي يمكن علاجه .

وقدم الدكتور ليلاند الفريد من سانت لويس بولاية ميسوري تقريراً في اجتماع الجمعية الطبية في واشنطون ، ذكر فيه انه أكتشف مركزاً في المخ يعمل عمل محطة التحويل . وفي هذه المنطقة الصغيرة التي لا ترى إلا تحت الميكروسكوب تتركز جميع القوى التي تسيطر على المخ وتتحكم في نشاطه .

وفي الوقت الذي يمكن استئصال أجزاء كبيرة من الفص الأمامي للمخ دون إضرار بالنشاط العقلي ، نجد أن أي تلف يصيب هذا المركز يسبب أضراراً جسيمة ويؤدي الى تعطيل عمل المخ وإصابة الشخص بفقدان العقل ، ولما كان من المحتمل إصابة هذه المنطقة بأي تلف أو مرض عضوي فان هذا الكشف سيؤدي إلى علاج كثير من الأمراض العقلية وإصابات المخ بالوسائل الجراحية . **

الدراري

للشاعر المهجري أسعد رستم

الدراري التي تضيء اشتعالا كالمصابيح فوقنا تتلالا
وهي إن لم تكن لنا فلقصد علقتها يد الاله تعالى
هي مثل الممثلات بدت في مسرح الكون راقصات دلالا
كلما زحزح الستار ولاحت تتدلى الأنوار منها حبالا
وكأن الحبال ايد قد امتدت الينا لترفع الأثقالا
تتعزى بها الأنام ابتهاجاً وعليها تعلق الآمالا
ترشد السالكين براً وبحرا وعشاراً تقيهم وضلالا
كم تمنى المظلوم لو أنقذته من يد الجور والشقاء انتشالا
كم تمنى المسكين لو رفعته عن حضيض الهوان والذل حالا
كم تمنى لو عالجته مريض متعب لم يعد يطيق احتمالا
كم تمنى لو حررته سجين فيفك القيود والأغلالا
كم تمنى الوحيد لو أخذته فيلاقي هناك صحباً وآلا
كم تمنى لو نقدته ريالا مفلس ما جنى بكدٍ ريالا
إن لله في العباد شؤونا سرها غامض علينا استحالا
إنما الله ليس يدرك جسما فهو أسمى من أن يرى وينالا
غير إنا نرى فعال يديه تتجلى في خلقه اشكالا
كشموس وأنجم وبدور تسحر العين رونقاً وجمالا
وكأن السما وهنَّ حجار رصّعت صدرها بهنَّ احتفالا
ثابتات لكنها دائرات تسبق البرق خفة وانتقالا
وتحد المعمور شرقاً وغرباً وجنوباً تحده وشمالا
سرحوا الطرف في الدراري ليلاً وخذوا للجهاد منها مثالا
فعلى كبرها تروح وتأتي قاطعات بلحظة اميالا
خضعت للنظام ما حاد يوما سيرها قيد شعرة اهمالا
وترى للحياة فيها دليلاً فهي لا تستقر شأناً وحالا
عاملات بهمة ونشاط صارفات أوقاتها استعمالا
تتفانى حتى الكواكب سعياً فانظروا واقتدوا بها يا كسالى



أثر العقاب

في حماية المجتمع

للاستاذ سهام عباس

فرض العقاب على أساس العدالة أو الردع لتحدى الجاني الحواجز المتعارف عليها وإرضاء لشعور الجماعة الذي جرحه الجاني ورداً على الجريمة دون الالتفات إلى البواعث الخفية المكبوتة في نفس المجرم والظروف الاجتماعية المحيطة به الدافعة له على إتيان الشر والاجرام ، يجعلنا نحاكم الجريمة لا المجرم ونعالج النتيجة ونهمل السبب . ويكون مقياس الحكم المظهر لا الجوهر وهو مقياس سطحي خاطىء لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة أو يوقف الاجرام عند حد . والشواهد تثبت أن المجتمع قد أخفق في منع إزدياد الجرائم رغم اتباعه أساليب شتى من القسوة والشدة .

فاذا كانت الغاية من العقاب ترمي إلى هدفين : الأول علاجي وهو تأديب الجاني وردعه، والثاني وقائي هو منع الآخرين من الاقتداء به للتوصل إلى استتباب الأمن وسلامة المجتمع فأننا لن نصل إلى النتيجة التي تكفل حماية المجتمع سواء أكان الخطأ أساس المسؤولية في الفعل الاجرامي كما هو عند المدرسة التقليدية أم ثبوت حالة الخطر كما هو في المذهب الوضعي.

فسلوك الانسان ناتج عن تفاعل المؤثرات الداخلية والخارجية أي الرغبات والميول المكبوتة التي تحاول الانطلاق دون قيد وعوامل البيئة والمجتمع وما تفرضه من قيود وموانع ، فقدرة الانسان على التكيف وعدم مرونة الحواجز التي يصطدم بها في مجالنا الاجتماعي تؤدى به إلى اتخاذ السلوك المضاد للمجتمع .

فالمذهب الفريدي يجعل الغريزة الجنسية هي المحرك الأول في سلوك الانسان وأن الشخصية تتجاذبها ثلاث قوى وهي « الهى ، والأنا ، والأنا الأعلى » وعدم التوازن بين

هذه القوى يولـد السلوك غير السوى الذي يتميز بالدوافع التدميرية للاهى و بأنانية طاغية .
أما عند أدلر فالحافز الرئيسي هو دفع النزعة الى السيطرة من جهة وعامل الشعور الاجتماعي من جهة أخرى وهما الأساس الموجه لكل الظواهر النفسية التي تتطور وتتبلور في الفرد لايجاد الوسيلة التي يحل بها مشاكله الأساسية في الحياة وهي (علاقته بالمجتمع ، واختيار المهنة ، والحب .) فايثار العزلة ، والانطواء على النفس ، والابتعاد عن النـاس وازدياد النفور من المجتمع . هذا الانحراف قد يصل عند البعض إلى اتيان افعال شاذة وإلى ارتكاب الجرائم ، أما اختيار المهنة فيستوجب التكيف في فهم سنن المجتمع والانخراط في المهنة الملائمـة . والحرمان من الحب كثيراً ما يؤدي الى افعال انتقامية والافراط فيه يولـد اضطرابات في نفسية الأطفال تسبب الانحراف في السلوك .

وهناك السيكوباتيون الذين لا يدل ظاهرهم على شيء غير سوى فنجدهم يتميزون بالذكاء والظرف والاحتفاظ بقدرتهم التفكيرية إلاّ أنهم في الحقيقة مجانين أشد خطراً على المجتمع لصعوبة تبين الدلالة العقلية لهذا السلوك وهم يرتكبون أنواع الجرائم وقد تصل حد القتل ولا يردعهم عقاب فيصطدم القانون بمرضى وليس بمجرمين مكانهم مصحات الأمراض العقلية ، وليست السجون . فتحديد المسئولية على أساس النتيجة غير مجدٍ ما لم نتحر البواعث الكامنة وراء السلوك الظاهر ، وتتحرر القواعد القانونية من جمودها وتساير العالم بأخذ هـذه البواعث بعين الاعتبار وتجعلها الأساس في تحديد المسئولية لكي لا نترك للمجرم سبيلاً للعودة الى الخطيئة ، ونعالجه لينسى الماضي فيكون عضواً نافعاً في المجتمع .

فايقاع العقاب عمل سلبي لا يحقق حماية المجتمع في الحقيقة وله أثر سيء في نفسية المجرم وبالأخص العرضي لانه يعتبر وصمة اجتماعية تطارده وتسد الأبواب أمامه مما يزيد عداءه للمجتمع وتتحول القواعد الأخلاقية والاعتبارات الاجتماعية في نظره الى وسائل تدفعه قهراً الى الاثم. وعلى ذلك نرى أن المجتمع مسئوول عن معظم الجرائم التي تجتاحه ، كما أن القانون يكون في بعض الأحيان باعثاً على الجريمة عوض ايقافها ومنعها وعدم مرونته خاصة عند استرداد المجرم لاعتباره والشكليات التي ينص عليها تعترض طريقه عندما يبغي العودة الى الحياة السوية

فحماية المجتمع لا تتم إلاّ بعمل ايجابي يتطلب البحث العلمي الدقيق عن الأسباب المؤدية الى انتشار الجرائم لايجاد امكانيات الوقاية والاصلاح عن طريق السيطرة على الظروف الاجتماعية.

التقويم الزراعي

لشهر يناير ١٩٥٢

المحصولات الزراعية : —

تنقى الحشائش من الفول والكتان والقمح والشعير — يستمر في خدمة الأرض المعدة للقطن — يكسر القصب الخلفة وتخدم الأرض للقصب الغرس — يروى الشتوي من الآبار الارتوازية .

البساتين : —

ا — الفواكه : يستمر في تجهيز الأراضي وعمل الحفر لزراعة أشجار الفاكهة — تنقل أشجار الحلويات ما عدا المانجو في أواخر هذا الشهر ملشا — تنقل الأشجار الحمضية بصلاية من الطين — تسمد الأشجار الحديثة بوضع مقطفين من السماد البلدي بكل حفرة ويخلط بالثرى الخارج منها — تعزق الحدائق وتزال الحشائش وتسمد بالأسمدة البلدية إن لم تكن قد سمدت وتروى رية غزيرة بعد السدة الشتوية — تزال من جذور الأشجار المنقولة ملشا الأجزاء التي طولها أكثر من اللازم وكذلك الجذور المسلخة والمكسرة وتوضع الشجرة رأسيًا في الحفرة — تقلم الأشجار المتساقطة الأوراق كالعنب والتين وغيرها — يكتفي في تقليم الأشجار الحمضية بإزالة السرطانات والأفرع الجافة — تزرع بذور المشمش والخوخ واللوز والزيتون إذا كانت قد تأخر زرعها في الشهر السابق — تزرع عقل العنب في أواخر هذا الشهر — يمكن عمل تراقيد العنب في أواخر هذا الشهر — تغطى أشجار المانجو الصغيرة بزرب من البوص لوقايتها من الصقيع .

ب — الخضر : يزرع الفجل والجرجير واللفت والسبانخ والبنجر والسلق — تزرع في الثلث الأخير من هذا الشهر عروة مبكرة من الفاصوليا والبطاطس والملوخية والكوسى والخيار — تنقل شتلات الكرنب الافرنجي وأبو ركبة والطماطم في آخر هذا الشهر — تزرع بالمشتل بذور الكرفس والكرات أبي شوشة والهندباء والخس البلدي — يندر الوارد من الكوسى الاسكندرانية في الأسواق — ترد البطاطس والطماطم بكثرة للأسواق — يرتفع سعر الخرشوف لقلة وجوده بالأسواق .

حـ - الزهور : يمنع الري عن الورد قبل تقليمه بأسبوعين - تزرع عقل الورد النسر . تستأصل الأفرع الجافة بالمتسلقات - تجهز عقل الأراولة لزراعتها في قصاري نمرة ١٠ - تزرع أصول (كرومات) الجلاديولس - تزال النموات الجانبية للقرنفل وتخف الأزرار الزهرية - تنقل الأشجار والشجيرات إذا أوبدذلك فما كان منها مستديم الخضرة ينقل بصلاية وماكان متساقط الأوراق ينقل ملشاً - تنقى الحشائش من الأبسطة المستديمة . * *

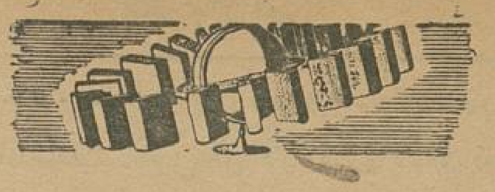
اخبار زراعية

أمراض النباتات

يظهر التبقع البني بالفول . يظهر تأثير الصقيع بالقصب . تصاب ثمار الموالح بالعفن الأحمر وتشقق الثمار والعفن الأخضر والأزرق . تصاب أشجار الموالح بالأشنة وتصمغ الأغصان وموت الأطارف والاصفرار . يصاب الموز بتورد القمة والديدان الثعبانية وطفية السيجارة . والمانجو بالبياض الدقيقي والأشنة وتشقق الساق . والحلويات بالديدان الثعبانية والتدرن التاجي والحلل الوظيفي . والكمثرى بالتقرح والتدرن التاجي والديدان الثعبانية . يصاب المقاث بالديدان الثعبانية والبياض . والطماطم بالذبول والديدان الثعبانية وتبقع الأوراق والفيروس . والبسلة بالصدأ والبياض الزغبي والخس بالبياض الزغبي . والجزر بالبياض الدقيقي وتشقق الجذور وتعفنها والديدان الثعبانية . والبطاطا بتأثير الصقيع . والبطاطس بأمراض العفن والتزريع وتضخم العديسات والتفلق .

الآفات الحشرية

تصيب الدودة القارضة القمح والبرسيم والحمص . توجد الثاقبات (دودة القصب الكبيرة والصغيرة ودودة الذرة الأوربية) بحالة بيات شتوي بعيدان القصب وحطب الذرة . يظهر تربس العفب على الورد وبعض الأزهار وأوراق العنب والجوافة والموالح ويكون غير نشط ومختبئاً تحت القشور يوجد تربس القطن على البرسيم والبصل وبعض الأزهار في حالة بيات شتوي . تظهر أنواع من المن على القمح والشعير والفول والكرنب والقنبيط وكثير من أشجار الفاكهة والظل والزينة . تصيب حوريات الحفار أنواع الخضر المختلفة . تستمر الاصابة بحفار ساق التفاح في سيقان أشجار التفاح والكمثرى والسفرجل والرمان . تصيب ذبابة الفاكهة ثمار الموالح . توجد الدودة الخضراء بالعدس في الوجه القبلي . تصيب أنواع من البق الدقيقي والحشرات القشرية الكثير من أشجار الفاكهة . * *



مكتبة المقتطف

أحاديث أدبية

نقد للدكتور ابو شادي

عنوان النشيد

لمحمود أبو الوفا

حينما تهتم أمة بتنظيم حياتها وتوفير أسباب نهضتها فانها لا تهمل أيـا من العوامل المؤثرة في تنشئتها، سواء أكانت هـذه العوامل مباشرة أم غير مباشرة، خطيرة أم هينة.

ولا ريب أن الآداب والفنون ليست بأهون هذه العوامل، كما لا ريب في أن حسن استغلالها يعاون معاونة قيمة في تربيـة الأمة وإعدادها لخير ما تتمنى. ولا قيمة لهـذه الآداب والفنون اذا لم تكن حرة منسجمة مع المبادىء الانسانيـة العامة، وإلا بقيت لهواً وتسلية واستحقت نعتاً آخر، وكانت مهرباً لخسب من مواجهة حقائق الحياة.

ولا يطالب أي فنان بأكثر مما يستطيع جهده، أي بأفضل مما تسمح به طاقته أو ميوله. ولكن اذا كان في وسعه — غير متصنع — أن يكيـف نفسه بحيث يستوعب المثل الانسانية والمبادىء التقدمية في شعره مثلاً كان بذلك مسدياً خدمة أجل للبشرية.

نسوق هـذه المقدمة ونحن جذلون إذ نهتم بالكتابة عن ملحمة (عنوان النشيد) للشاعر المصري المطبوع محمود أبو الوفا الذي يقول:

استمع لي: إن من حق الحياه

للفتى؛ إما يعيش عيش إله

أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

في هذه الملحمة التي بلغ عدد أبياتها واحداً وخمسين وثلاثمائة (وقد أخرجتها مطبعة

مصر بالقاهرة في ثوب أنيق زادت في رونقه الصور الخلفية الملوّنة التي رسمتها ريشة الفنان لويس فلسطين) نجد شاعرنا يطوع مواهبه النداء الانساني الذي ينطوي على الاصلاح التقدمي ، فيغنم الأدب الانساني كما تغنم العربيـة من هـذا المجهود الجديد الموفق . وليس هذا بغريب عن محمود أبو الوفا ، فان البذور الأولى لتفكيره هـذا ملموسة في ديوانيه السابقين (أنفاس محترقة) و (الأعشاب) . وهي بذور السخط على الفساد وعلى الظلم الاجتماعي ، وهي بذور الحرية «وحق تقرير المصير» ، وهى بذور التسامي عن الدنايا كيفما كانت بواعثها وألوانها .

أبو الوفا أحد اثنين من شعراء القاهرة المترسلين اللذين يكاد يكون شعرهما نثراً مصري الروح والسمات ، وكلاهما شاعر مطبوع . أما الآخر فالاديب محمد رضوان أحمد مؤلف كتاب (في جنة الفردوس مع سبعة من زعماء الشرق) .

ولـكن بينما أبو الوفا يعني بالديباجة المصرية البحتة صاعداً بعاميتها إلى الفصحى ، أو على الأقل الى ما تقبله قواعدها ، نجد محمد رضوان أحمد يزاوج بين العربية الجزلة والسلاسة المصرية المترسلة فيقول : —

ومتى سئلت عن البلا د فقل تقارف كلُّ حُوب
تشكو من الظلم الغريـ ب، وما الظلوم سوى القريب
عاثت بها الجرذان واجترأت على الأسد الرهيب
حُراسُها سُرّاقُها وحُماتها عون الغريب
لا يحسنون سوى الخنوع وفي الخنوع ردى الشعوب
بُهمٌ بملء بطونها غفلت عن الخطر القريب
من نبأةٍ تذرُ الديا ر إلى المخابيء والدروب
لا يحفلون من الحيا ة بغير كأسٍ أو لعوب!

ولولا ديباجة أبو الوفا المصرية البحتة لخلنا هذه الأبيات الوطنية من نظمه . أليس أبو الوفا هو القائل من روحه الهادي في (عنوان النشيد) : —

وبدا في الروح روحُ الهيمان
فهو لا ينزلُ في أي مكانْ
دون أن يسأم من هذا المكان
ماله — ياليت شعري — لم طار؟

هل تراه إذ رأى الظلم استطار ؟
وكأن الدهر بالناس استدار
فأمور الخلق في أيدي الصغار
وكأن لم يبق في الدنيا كبار
قال : لا ، لم يبق لي إلا الفرار !

وهو الذي يناجي ذلك الروح النازح الساخط على المجتمع بقوله : —

أيهذا الروح هل لي منْ جوابْ ؟
هل أظل العمر أدعو لا أجاب ؟
أي غابٍ أنا فيه ، أيّ غابْ ؟
فتني يا رُوحُ منْ غير صحابْ
للنمور الحرد ، للأسد الغضاب !
للأفاعي الزرق ، أو زُرق النيابْ
والعجيبُ الآن في غاب العجابْ
أن هذا الغاب يحمى بالكلابْ
الكلاب السود أشباه الذئاب !

يدور هذا النشيد أو الملحمة حول تمجيد الفضيلة القوية ، وهي وحدها القوة التى يحترمها الشاعر الذي يعتبر الضعف فضولاً في هذه الأرض ، ويرى أن « قانون البقاء » :—

وهو ما في الناس يدعى بالقضاء
قد رأى في هؤلاء الضعفاءْ
أنهم في الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات في الزرع سواء !

وهو بروحه الشعرية يعتبر أن (آدم) نزل الى الأرض مختاراً ، وأنه سأل الله أن يهبه « حق تقرير المصير » فاستجاب الله الى دعوته ، وهو ينعي على الانسان ضعفه وتردده وجهله باستثمار اقتداره ومواهبه ، كما أنه يمجد أمنا الأرض الى آخر بيت في ملحمته ، إذ يناجي روحه الهادي أو روح السماء الذي فرّ من الأرض سخطاً على ما فيها من آثام ومظالم ، وراح شاعرنا يبحث عنه قارعاً باب ذي العرش المجيد في بحثه ونشدانه الحق . ولا يفوته غير مرة أن يسخر من محتكري النفوذ ومن بهلوانياتهم في التغرير

بالجماهير ، فيقول على لسان ذلك الروح السماوي الساحر : —

وقصاري القول ، في أي مكانْ
كنت فيه كنت أنت البهلوانْ !
هو ذا يا صاح فن الافتنانْ !
وهو في العليـة فن العمانْ !
وهو ذا أعظم فنٍّ في الزمانْ !

ومع أن في هـذه الملحمة القيمة مقاطيع أو أبياتاً كان يمكن الاستغناء عنها لأنها بمثـابة تكرار أو إشباع أو توكيدٍ لا موجب له ، ومع أن بعضها ضعيف النسج مثل مقطوعته عن تساءل آدم (ص ١٠ — ١١) ، إلاّ أن فيها فرائد ممتازة جديرة بالتنويه بها سواء أ كانت مبتدعة أم مرددة . فن هذه الأمثلة الجميلة قوله : —

وتغني الروح لحناً فأجادهْ
قال : إنَّ الضعف والقوة عادهْ
وكذا الانسان قد أرضى اعتداده
وعلى ملك الثرى شاد عتـاده !

ولكن شاعرنا لا يرضيه أن ينسى نسل (آدم) تقاليد جدهم الأول الذي شغف بهذه الأرض ، كما حسب الشاعر ، ولذلك قال عن الانسان : —

ليته وجَّـه للأرض الدعاء !
مثلمـا وجَّـهُ نحو السماءْ !
غير أن النفس لمـا استرخصتْ
طينها لم تعطه حقَّ العبـادهْ !
ولهـذا فقدت حقَّ السيادهْ
دون أن تشعر ، والأشياء عادهْ
بينما الانسان لو شاء استعادهْ !

ومن أجمل مقطوعاته هذه التي يوحي فيها الى الانسان الثقة بذاته والعمل لجده فقال : —

آه لو آمن إنسـان بذاتهْ
لأني في الأرض كبرى معجزاتهْ
ربما كان إلهـاً في صفاتهْ

حلَّ منه الروح في كل جهاتهْ
ليس للأنسان إلا ما سلكْ
فهو إن شاء تردّى فهلكْ
وهو إن شاء إلهٌ أو ملكْ !

ومن خير شعره الاجتماعي في هذه الملحمة قوله : —

أيها الناس ! ألاَ منْ يخترعْ
إختراعاً واحداً يشفي الطمعْ
ويداوي الناس من داء الجشعْ
اضمنوا لي الآن هذا الاختراعْ
وأنا أضمن إشباع الجياعْ !
ليت من نادي بتحرير البقاعْ
كان قد نادى بتحرير الطباعْ !

ومع ذلك تمنى في ملحمته لو أن لقاءه بروحه الهادي — روح السماء — كان على هذه الأرض ، وإذا كان ثمة رجاء فليكن في الأرض تحقيق الرجاء :

لا تقلْ لي في غدٍ عند السماء سوف تلقى الروح أو تلقى الصفاءْ
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ها هنا في الأرض إن كان لقاءْ ؟ !

وهكذا نجد محمود أبو الوفا في هذه الملحمة يسمو الى منزلة الشاعر الوطني المصلح الرائد ، بل الشاعر الانساني الذي يحس فطريـاً بأنه وفنه وفكره وقف على خير البشرية ، وأن الانسان في ذاته أعظم ملحمة شعرية على هذه الكرة الأرضية ، وأن الحياة ليست مجرد أكل وشرب ولهو ، بل هي تجاريب شاملة منها وإليها ، لا درباً واحداً ولا تجربة محدودة ، وأن الشاعر ليس دون سواه من أقطاب الأمة في الرياد والالهام نحو مثل أعلى ، وعلى الأخص في البيئات التي أورثتها أزمنة الانحطاط السابقة روح التواكل والقدرية الخاطئة والتعلق بالأوهام وحب الاختباء في الكهوف بدلاً من الاندماج في موكب الحضارة والانتفاع بنور العلم وهو في كل هذا لا يأتينا بحكم زهير بن أبي سلمى ولا بانسانيات بوب Pope ، وإنما يأتينا بمـا توحيه إليه بيئته المصرية وروح العصر الحاضر . ولذلك نعد ملحمته هذه لبنة صالحة في بناء الشعر القومي الشريف الانساني الصبغة .

(نيويورك) دكتور احمد زكي أبو شادي

رياح وشموع

للاستاذ كمال نشأت المدرس بالنيل الثانوية بشبرا بالقاهرة — صفحاته ٦٤ صفحة من القطع المتوسط — طبع القاهرة ١٩٥١

صاحب هذا الديوان شاعر شاب من شعراء المدرسة الحديثة ؛ مؤمن بالتجديد في الشعر العربي ، إيمانه بالمذهب الرمزي الذي « يجد تجاوباً في نفوس الشعراء المعاصرين » ، وبقيمة الرمز « الذي تستفيق على وقعه الذكريات الغافية ، والمشاعر الغامضة ، القابعة في أعماقنا » ، وبالألفاظ الرمزية الموحية « التي تلقي ظلالها على نفس القارىء » ، وتعتمد على القوة الايحائية للفظ ، وتستغل القوى الكامنة وراءه استغلالاً واسعاً .

وهـذا الديوان مجموعة من القصائد الشعرية الممتعة ، التي نظم الشاعر أغلبها إبـّان دراسته الجامعية ، وسجل فيها بعض « انطباعات الحيـاة على نفسه » كما يقول .

والتجربة الشعرية الصادقة قوية في أغلب ما نظم الشاعر ، وطابع الرمزية واضح سائد من شعره وأناشيده ، وكذلك وحدة القصيدة . وانسجامها . وكأن الشاعر يمثل نفسه ومشاعره في قوله على لسان « فراشة » :

أنا حلم فجر لم يزل في الغيب منسدل الستور
ومضى يطل على الحيا ة بوجهه الطلق المنير
وأتى إلى الروض النضـ ـر بين أنفاس العطور
يحيـا بقلب فراشة نشوى منعمة الشعور

وقصائده : « ربيعي » و « القافلة » ، و « ذكرى » ، و « وداع » ، و « دمع وقطرات » و « حنين إلى الشاطىء » ، و « السؤال » . . تبلغ في رمزيتها وامتاعها وخصب تصويرها الشعوري منزلة عالية . . اقرأ قوله من قصيدته : « السؤال الخالد » :

إني سألت مفازة الزمن المخلّد . من أنا ؟
من أين جئت وما المصير ، أللخلود أم الفنا ؟
ومن الذي ألقى بروحي في متاهات الفنا ؟

أو قوله من قصيدته « رياح وشموع » :

إن قسا الليـل ظلمة ورياحاً فالصباح العطوف في أحنائي
والسكون العميق بين ذراعينا ودفء الدماء في الأعضـاء

أطفئي خافق الشموع وخلينا ظلاماً إلى مجيء الضياء

أو قوله :

والسكون العميق يهمس عطراً في رحاب الطبيعة السمحاء
أبيض : كالثلوج ، كالأمل العذ ب ، كحلم في مهجة العذراء
سجدت أسبح فيك الجمال ودمعي يصلي على وجنتي
أيا معبداً لم يزل طهره يخط الضياء على صفحتي

فستجد رحابة مقبولة وعمقاً في التصوير والشعور النفسي .

والشاعر مؤمن بالحياة ، متفائل فيها ، الى حد كبير . . يقول :

سألت وما تدري خفيّ مشاعري ماذا نحس من الربيع الباكر
فأجبت : في قلبي ربيع خالد لا بضع أعشاب وبضع أزاهر
أنا في الخريف أرى الربيع معطراً غرداً فيلهم بالحنان مزاهري

ويكرر ذلك فيقول :

عاد الربيع ومهجتي فيها ربيع ناضر
شعر وأحلام وأنغـــامٌ وشوق زاخر

ولكننا لا ننسى أن نسجل ضعف المادة اللغوية عند الشاعر ، فبعض الألفاظ في شعره لا تقبلها اللغة مثل : « البسيم » ، و « تخطر » ، و « سأمان » ، و « الخفيض » ، و « الوسيع » و « غنوة » ، وغيرها ، مما لا يتسع وقت القارىء لذكر شواهدها من الديوان . . وبعض الأساليب تخلو من قوة الشاعرية وجمال الأداء . . و بعض الأوزان ثورة على الأوزان العربية القديمة ، كما في قصيدته « إلى البحر » .

في هدأة الاظلام أحيا مع الأمواج

وكما في قصيدته : « مارسيان » :

الجـوى والأماني «غنوة» في الجنان

ومع ذلك فلهذه الوجدانات الطيبة من الشاعرية العميقة المتأصلة بشائر توحي بمستقبل حافل من دولة القريض . . ودعاة التجديد قلما تنهض ألفاظهم بأداء معانيهم كما يقول القدماء . من النقاد . . وحسبي تلك الخطرات الصغيرة في التعليق اليوم على هذا الديوان .

محمد عبد المنعم خفاجي

باب الأخبار العلمية

أحدث الآلات المصرية للعلاجات الطبية

«الكلوة الصناعية» — اخترعت في الولايات المتحدة الأمريكية كلوة ميكانيكية تقوم مقام الكلوة الطبيعية . فتنقذ المريض من الموت بالتسمم البولي . حينما تعجز كليتاه عن افراز الفضلات السامة من بدنه . وأهم أجزائها اسطوانة كبيرة تحيط بها أنابيب من مادة السيلوفان طولها ١٤٠ قدماً ملفوفة حولها لفاً حلزونياً . وهي تدور دوراناً مستمراً في حمام يحوي سائلاً منظفاً . وطريقة عملها أن يدخل الطبيب في ساعد المريض خرطوماً صغيراً لينقل منه الدم الى مجموعة الخراطيم السيلوفانية وعندما يسيل الدم في ذلك المجرى من أوله الى آخره ، تتساقط القطرات السامة من مجموعة الخراطيم الدقيقة المشار اليها في سائل التنظيف فتتيسر ازالة كمية تبلغ رطلاً انكليزياً من تلك المادة السامة . وذلك قبل معاودة دخول الدم في عرق ساق المريض أو ذراعه

«الحجاب الحاجز الكهربي للتنفس» اخترعت في مدرسة هارفرد التابعة لوزارة الصحة العامة الأمريكية ، حيث ابتدعت «الرئة الحديدية (١)» منذ عشرين عاماً آلة أخرى عجيبة تساعد على التنفس . تسمى الحجاب الحاجز الكهربي للتنفس ، ذات حجم يكاد يعادله في جهاز المذياع المتنقل . وتدور بالتيار الكهربي المنزلي المعتاد وهي تحمل المصاب ، على التنفس إذ تطلق تياراً كهربياً يسري في أحد اعصاب عنقه الى عضلات حجابه الحاجز، التي تتحكم في تنفسه . ولما كانت هذه الآلة أصغر حجماً من غيرها من أجهزة التنفس المألوفة وأبسط منها عملاً ، فلا يقصد بها الحلول محل الرئة الحديدية بل الانتفاع بها في بعض الحالات التي لاتنجع فيها تلك الرئة الصناعية . فتقوم في حالة شلل الانتفاخ النخاعي «الشلل اللساني الشفوي الحنجري» ، بوقف التنفس الشاذ . وهذا ما تعجز عنه دائماً الرئة الحديدية . كما إنها تطلق التنفس العادي المنتظم المضبوط ولخفة هذه الآلة واتقان صنعها يقبل على استخدامها المختصون في مراكز اسعاف الغرقى والمختنقين بالاسفكسيا والصعقين بالتيار الكهربي . ويستعمل

---

(١) الكاتب روت احدى جرائدنا المحلية في ١٦ مايو سنة ١٩٥١ في برقية وردت علينا من لندن :— ان مصر قد عقدت صفقات هناك لشراء ١٠ رئات من الحديد الصلب لمستشفيات الحكومة . وستصدر اثنتان منها في الحال وسترسل بقيتها في خلال العام القادم .

الباحثون في جامعة متشيغان رئة حديدية صغيرة لدراسة أسباب عدم انتظام تنفس الأطفال الأسقاط (الذين يولدون قبل أوانهم) ويرون أن سببه يرجع الى عدم وصول الأكسيجين الى نسيج المخ المسيطر على التنفس. وحتى الأطفال الذين يولدون ولادة طبيعية في المستقبل، يتاح إثارة التنفس في رئاتهم، في حجرة الوضع، من دون لطمهم لطماً شديداً «بحسب الطريقة الحالية» وذلك بجهاز منعش يسمى بالانكليزية (ريسسينيت) resuseinette يدور على القاعدة الميكانيكية البسيطة الخاصة بتمدد الأكسيجين تمدداً يحفز الرئتين على القيام بوظيفتهما. وهذه الآلة صالحة للتركيب على أية رئة، أيّاً كان حجمها كما انها تمد الأطفال الرضع بالحرارة والرطوبة الملائمتين لهم.

﴿ جهاز لتشخيص مرض القلب ﴾ وأصبح ميسوراً وصف «تشخيص» مرض القلب وصفاً أكيداً في الغالب، وذلك بمقياس كهربي حسّاس جداً يقيس سيلان الدم في أصابع اليدين والقدمين. ونعني به النيموبليثسموغراف pneumo — plethsmograph. ومنه تتشعب عشرات الأسلاك حيث تصل بفناجين من المحاثّ الكبارية تركب على أصابع اليدين والقدمين لاستكشاف التغيرات التي تطرأ حينئذ على الدم. ويستعمل مع هذا المقياس، أداة مسجلة تقوم بالتحليل التام. كما تربط المعلومات الخاصة بسير القلب وحجم النبض وضغط الدم ودرجة الحرارة في جلد المصاب ومبلغ فرز عرقه، بعضها ببعض.

وبهذا الجهاز الذي يجمع بين الوظائف البدنية المختلفة يستعين الأطباء على إقرار بتر أي عضو من الجسد أو الابقاء عليه. وذلك بالأدلة التي تبين هل سيلان الدم كاف لتغذية العضو المرغوب بتره أو غير كاف له.

﴿ جهاز الالكترو إنسيفلوغراف ﴾ Electroencephalograph ويستعمل في مدرسة الطب الخاصة بالسلاح الجوي بالولايات المتحدة الأمريكية جهاز الالكترو انسيفلوغراف لتشخيص أدواء القلب والصرع تشخيصاً تليفونيّاً. إذ يعلق هذا الجهاز حول عنق المصاب في خلال ممارسته الحركات الرياضية. فيتيح نقل تموجات قلبه بوساطة التليفون أما الآلات القديمة الضخمة التي كانت مستعملة لهذا الغرض فتقتضي بملازمة المصابين للسكون التام.

﴿ طريقة للاهتداء الى التشوهات الخلقية ﴾ وفي مستشفى الكنيسة المشيخية في شيكاغو، يستكشف الأطباء التشوهات الخلقية «حالات الشذوذ غير الطبيعي» ويعالجونها. وهي الحالات التي أعتيد استجلاء غوامضها بوسيلة واحدة هي تشريح جثة المصاب بها عقب وفاته. وهذه كانت عادمة الجدوى على الاطلاق ما دام صاحبها

قد لقي حتفه. أما الطريقة الحالية فتقوم بادخال الجراح خرطوماً دقيقاً مرناً في ذراع المريض ثم مراقبة مسيره، على فلوروسكوب [1]، مع مواصلة دسه «الخرطوم» تدريجاً في وريد المصاب حتى يصل الى فؤاده. ثم يستخرج الجراح نفسه «عينات» من الدم الذي يتدفق من القلب فيستدل بها على المقر الحقيقي لذلك الداء الخفي. وتتم هذه الذريعة بلا خطر. وذلك تحت تأثير التخدير الموضعي فحسب، من دون شعور المريض بأي ألم كان.

آلات تصوير جوي ترشد الى أوصاب القلب وغدت لآلات التصوير الفوتغرافي منفعة عظيمة لاستكشاف أسقام القلب. فتستطيع احداها تصوير صور فوتغرافية للقلب بالغة الوضوح وذلك في هنيهة لا تعدو أربع ثوان. إذ تتم عملية التصوير بأجمعها، من تحميض وتثبيت وغسل وتجفيف كلها في باطن المصورة. أما الأطفال الذين يولدون وقلوبهم، غير سليمة، وهؤلاء يقدرون عند وضعهم بـ ٢ ./. من مجموع المواليد، فقد نفعتهم الآلات المصورة الجوية نفعاً باهراً في زمن الحرب العالمية الثانية. إذ جعلتهم يتفادون متاعب تصويرهم بأشعة رنتجن التي تحتم عليهم السكون التام حينئذ، ووقف تنفسهم قصد تصويرهم بأجهزة أشعة رنتجن. كما هو المفروض على الكبار الذين يبغون ذلك التصوير. إذ يحقن وريد من أوردة ذراع الطفل المصاب بمادة كيماوية غير شفافة «يتسنى معرفة نوعها على الفلم» ومهما يتبرم الطفل ويتنفس وقتئذ فان الصور العشرين السينية التي تصورها الآلة الفوتغرافية في عشر ثوان، تزود الأطباء بمعلومات مستوفاة تمكنهم من تقدير حجم ذلك التشويه الخلقي والاهتداء الى مقره.

الراديو المصور بالألوان في حجر الجراحة — ما من شك إن هذا الجهاز سينفع نفعاً جليلاً في التعليم الطبي. إذ هو سيمكن عدداً كبيراً من طلبة الطب من الحصول على صور متحركة منقولة عن كثب توضح جيداً مميزات الجراحات، وذلك بمقاييس كبيرة. وهذا فضلاً عن الدقة التي يمتاز بها الراديو المصور بالألوان المختلفة عن زميله المصور باللونين الأسود والأبيض إذ الأول تظهر فيه الصورة، على ستارته المستقبلة، أكبر عدة مرات مما يراه الجراح نفسه الذي يقوم بالجراحة.

عوض جندي

(١) جهاز مغشى بمادة متألقة، تشاهد به ظلال الاشياء الكامنة في البيئات غير الشفافة التي لا يكشفها الضوء العادي، بل أشعة رنتجن، اذ تصير شفافة تجاه هذه الاشعة.

الفهرس

للجزء الأول من المجلد العشرين بعد المائة